وزارة التربيـة

تفسير القرآن الكريم

للصف العاشر

بالمعاهد الدينية

الطبعة الأولى

وزارة التربيـة

تفسير القرآن الكريم

للصف العاشر

بالمعاهد الدينية

تأليف

أ/ نـــوال عبدالله جميعـان (مشرفاً)

أ/ منـى فـوزان العبيـد

أ/ رابعة يوسف المكيمي

أ/ حمدي علي الجوهري

أ/ سعـد محـسن الشمري

الطبعة الأولى

١٤٣٤ - ١٤٣٥ هـ

٢٠١٣ - ٢٠١٤م

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لوزارة التربية - قطاع البحوث التربوية والمناهج

إدارة تطوير المناهج

الطبعة الأولى: ٢٠١٣ - ٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح

أمير دولة الكويت

سمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح

وليّ عهد دولة الكويت

المحتوى

الصفحة

المقدمة			١١
سورة الروم			١٧
رقم الدرس	عنوان الدرس	الآيات	
الأول	إعجاز القرآن الكريم	١ – ١٠	١٨
الثاني	بداية الخلق وبعثهم	١١ – ٢١	٢٦
الثالث	التنوع في الخلق	٢٢ – ٢٩	٣٥
الرابع	الدين القيم	٣٠ – ٣٧	٤٥
الخامس	الربا الحلال	٣٨ – ٤٥	٥٣
السادس	بعض الآيات الكونية	٤٦ – ٥٣	٦٣
السابع	هذا خلق الله ﷻ	٥٤ – ٦٠	٧١
سورة لقمان			٧٩
الثامن	حال السعداء وحال الأشقياء	١ – ١١	٨١
التاسع	وصايا لقمان الحكيم	١٢ – ١٩	٩١
العاشر	فوائد التدبير والتأمل	٢٠ – ٢٤	١٠٣
الحادي عشر	توحيد الربوبية	٢٥ – ٣٠	١١٣
الدرس الثاني عشر	الدعاء	٣١ – ٣٤	١٢٣

رقم الدرس	عنوان الدرس		الصفحة
سـورة السجـدة			١٣١
الثالث عشر	مظاهر قدرة الله ﷻ	١ – ٩	١٣٣
الرابع عشر	إثبات البعث وصفة الكفار يوم القيامة	١٠ – ١٤	١٤٣
الخامس عشر	من شواهد الإيمان	١٥ – ٢٢	١٥٠
السادس عشر	تقرير أصول العقيدة	٢٣ – ٣٠	١٥٩
سـورة الأحزاب			١٦٥
السابع عشر	إرشاد وتوجيه	١ – ٥	١٦٧
الثامن عشر	مقام نبينا محمد ﷺ	٦ – ٨	١٧٩
التاسع عشر	غزوة الأحزاب (١)	٩ – ١٧	١٨٩
العشرون	غزوة الأحزاب (٢)	١٨ – ٢٧	٢٠١
الحادي والعشرون	زوجات النبي ﷺ وتوجيهات كريمة	٢٨ – ٣٥	٢١٣
الثاني والعشرون	قصة زيد بن حارثة وزينب بنت جحش رضي الله عنهما	٣٦ – ٤٠	٢٢٧
الثالث والعشرون	عناية الله بالمؤمنين وصفات الرسول الكريم	٤١ – ٤٩	٢٣٩
الرابع والعشرون	من خصوصيات النبي ﷺ وبعض الآداب المرعية معه	٥٠ – ٥٥	٢٤٩
الخامس والعشرون	توجيهات وعظات	٥٦ – ٦٨	٢٦٣
السادس والعشرون	ختام سورة الأحزب	٦٩ – ٧٣	٢٧٥
المـراجـــع			٢٨٣

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فإليكم أبنائي طلبة العلم الشرعي كتاب التفسير للصف العاشر في المعاهد الدينية والذي يتضمن تفسيراً لكل من : سورة الروم ، سورة لقمان ، سورة السجدة ، وسورة الأحزاب .

وقد أعقب كل درس من الدروس : هداية الآيات والقيم المستفادة من الدرس ثم التقويم النهائي . وقد تمت مراعاة دقة العبارة وسلاسة الأسلوب الذي اعتمد عليه في التفسير ، وقبل الشروع في المقصود فإنه يحسن أن نقدم مهمات علمية حول علم التفسير ومدارسه وأسماء بعض المفسرين من الصحابة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهم ـ والتابعين .

فالتفسير هو التوضيح والبيان قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[1] المقصود هنا بالتفسير بيان مراد الله ـ ﷻ ـ في القرآن الكريم ، حسب ما يظهر لنا .

المراد بعلم أصول التفسير :

وعلم أصول التفسير : يراد به القواعد الكلية التي نتمكن بواسطتها من فهم القرآن وتفسيره ومن خلال هذا يتبين أن موضوع هذا العلم هو القرآن الكريم ، كلام الله ـ ﷻ ـ .

فوائد تعلم علم أصول التفسير :

أولاً : التمكن من فهم كلام الله ـ ﷻ ، ومعرفة المنهج الذي يلتزمه المفسر في تفسير كلام الله تعالى ، لما في سلوك هذا الطريق من تدبر كلام الله تعالى الذي هو المقصود ، قال الله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[2] .

١ – سورة الفرقان : ٣٣ .

٢ – سورة ص : ٢٩ .

ثانياً : السلامة من الإثم المترتب على القول على الله تعالى بلا علم . والسلامة من تفسير القرآن بالرأي المجرد ، وقد تواترت النصوص في بيان عظم إثم من قال على الله بلا علم ، قال تعالى :﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ ﴾ إلى أن قال :﴿ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1] وقال سبحانه :﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[2] ، ومن لم يتمكن من معرفة هذه القواعد -قواعدَ التفسير- فإنه حينئذٍ يَحرمُ عليه أن يفسر القرآن ، ويجبُ عليه في فهم القرآن أن يعتمد على أقوال المفسرين المعتبرة .

ثالثاً : الترجيح بين أقوال المفسرين والحكم على أقوالهم المختلفة تصويباً وتخطئة ، فنحن عند قراءة تفسير القرآن ، نجد أقوالاً مختلفة ، فطائفة يفسرونها بقول ، وطائفة يفسرون الآية بقول آخر ، ما هو الراجح من هذه الأقوال؟ يمكن أن نتعرفه من خلال معرفة أصول التفسير وقواعده .

رابعاً : التمكن من استنباط الأحكام الشرعية ، فإننا إذا عرفنا معاني القرآن من خلال قواعد التفسير وأصوله ، تمكنا من استخراج الأحكام الشرعية .

خامساً : أن نعرف أحكام النوازل الجديدة ، والمسائل الحادثة ، فإن هذا القرآن العظيم قد بيّن الله أنه جعله تبياناً لكل شيء ، وكل ما احتجنا إليه من أحكام الشريعة ، فهو موجود في الأدلة الشرعية ، فحينئذ عندما تأتينا مسألة جديدة ، فلا بد أن يكون حكمها موجوداً في كتاب الله ، أو في سنة رسوله ﷺ ، نصاً أو استنباطاً ، كما قال -جل وعلا- :﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[3] ، فحينئذ يستنبطونه عن طريق هذه القواعد - قواعد التفسير وأصوله - وبمراعاة هذه القواعد ، نَسْلَمُ بإذنِ اللهِ من الخطأِ في التفسير .

---

١ - سورة الأعراف : ٣٣ .
٢ - سورة البقرة : ١٦٨ - ١٦٩ .
٣ - سورة النساء : ٨٣ .

نشأة علم أصول التفسير:

قواعد التفسير وأصوله كانت موجودة في عهد النبوة ، ولذلك لما أمر الله ـ ﷻ ـ نبيه ـ ﷺ ـ بإيضاح الكتاب وتبيينه للأمة ، وبيّن الله ـ ﷻ ـ أنه سَيُبينه ، وأن على الله البيان ، فحينئذ نأخذ من هذا قواعد للتفسير ، منها أولاً أن القرآن يفسر القرآن ، ومنها أيضاً أن السنة تفسر القرآن ، كما قال الله تعالى :﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] ، ثم في عصر الصحابة ـ رضوان الله عليهم ، كان الصحابة يرجعون إلى دلالات اللغة في فهم الكتاب ، وكان لديهم من القواعد الشرعية ما يؤهلهم لفهم كتاب الله ـ ﷻ ، وحينئذ فهذا العلم كان موجوداً في عهد النبوة ، موجوداً في عهد الصحابة ـ رضوان الله عليهم ، لكنه لم يدون في تلك العصور– وإنما ابتدأ تدوين هذا العلم عند البدء بتدوين علم أصول الفقه .

أوجه التفسير:

١) – تفسير القرآن بالقرآن : مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ ﴾[2] . فالنجم الثاقب : تفسير لكلمة «الطارق» .

٢) – تفسير القرآن بالحديث الصحيح : مثال ذلك ، قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[3] ، فسّر النبي ـ ﷺ ـ الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى .

٣) – تفسير القرآن بأقوال الصحابة : كابن عباس وابن مسعود وغيرهما ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهم ـ مثال ذلك ، قوله تعالى في آية الطهارة ﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ ، قال ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما : الجماع .

٤) – تفسير القرآن بأقوال التابعين : مثال ذلك ، قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ ، قال الربيع بن أنس : ارتفع إلى السماء .

---

١ – سورة النحل : ٤٤ .
٢ – سورة الطارق : ١ – ٣ .
٣ – سورة يونس : ٢٦ .

٥) – تفسير القرآن باللغة العربية : مثال ذلك ، قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[1] ، التماثيل : الأصنام ، وأصل التمثال : الشيء المصنوع مشابهاً لشيء من مخلوقات الله سبحانه .

مدارس التفسير في عصر التابعين:

من المعلوم أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يستقروا في بلدٍ واحدٍ ، بل تفرقوا في الأمصار وحملوا معهم ما وعوْه من العلم مما حفظوه عن رسول الله ـ ﷺ ـ فجلس إليهم كثيرٌ من التابعين يأخذون العلم عنهم وينقلونه لمن بعدهم فقامت في هذه الأمصار المختلفة مدارس علمية على يد الصحابة تتلمذ فيها كثير من التابعين .

قال شيخ الإِسلام ابن تيمية : «أما التفسير فأعلم الناس به أهل مكة» ، لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح ، وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم من أصحاب ابن عباس ، كطاووس ، وأبي الشعثاء ، وسعيد بن جبير ، وأمثالهم ، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود ، ومن ذلك ما تميزوا به على غيرهم ، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير ، وأخذ عنه أيضاً ابنه عبد الرحمن ، وأخذه عن عبد الرحمن : عبد اللّه بن وهب .

يتضح لنا من كلام شيخ الإِسلام السابق أن للتابعين مدارس في التفسير هي كالآتي :

مدرسة التفسير بمكة:

قامت هذه المدرسة على يد عبد الله بن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما ـ ومن أشهر من تتلمذ على يديه سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وطاووس بن كيسان اليماني وعطاء بن أبي رباح رحمهم الله تعالى .

---

١ – سورة الأنبياء : ٥٢ .

مدرسة التفسير بالمدينة:

قامت هذه المدرسة على يد أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ ، ومن أشهر من تتلمذ عليه زيد بن أسلم وأبو العالية ومحمد بن كعب القرظي رحمهم الله تعالى .

مدرسة التفسير بالكوفة:

قامت هذه المدرسة على يد عبد الله بن مسعود ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ومن أشهر من تتلمذ على يديه علقمة بن قيس ، ومسروق ، والحسن البصري ، وقتادة بن دعامة السدوسي ، رحمهم الله تعالى .

أشهر المفسرين من التابعين:

سنورد فيما يلي تعريفاً لمفسر واحد من كل مدرسة من المدارس السابقة :

من مدرسة التفسير بمكة: (مجاهد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ)

هو الإمام الثقة شيخ القراء والمفسرين أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي ، مولى السائب بن أبي السائب ولد في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ٢١ هـ . كان رحمه الله أوثق أصحاب ابن عباس ولهذا اعتمد على تفسيره البخاري والشافعي وغيرهما .

روى ابن إسحاق عنه أنه قال : «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية وأسأله عنها» .

وكان سفيان الثوري يقول : «إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به» .

توفي بمكة سنة أربع ومئة وعمره ثلاث وثمانون سنة .

من مدرسة التفسير بالمدينة: (زيد بن أسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ):

هو الإمام الحجة القدوة أبو أسامة أو أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي المدني الفقيه المفسر مولى عمر بن الخطاب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كان ثقةً عالماً وكان من كبار التابعين الذين عرفوا بالتفسير ، كان معروفاً بغزارة العلم بين معاصريه فكانوا يجلسون إليه ويأخذون عنه ، وأشهر من أخذ عنه ،

ابنه عبد الرحمن بن زيد ، ومالك بن أنس إمام دار الهجرة . توفي سنة ست وثلاثين ومئة من الهجرة .

من مدرسة التفسير بالكوفة : (الحسن البصري رحمه الله تعالى) :

هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، كان فصيحاً ورعاً زاهداً لا يسبق في وعظه ، جمع إلى صلاحه وورعه غزارة علمه بكتاب اللّه تعالى وسنة رسولنا ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأحكام الحلال والحرام ، وقد شهد له بالعلم خلق كثير منهم أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ فقد قال فيه : «سلوا الحسن فإنه حفظ ونسينا» . توفي رحمه الله سنة عشر ومئة من الهجرة .

وفي الختام نسأل الله تعالى أن ينفع الجميع بهذا العلم وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح .

المؤلفون

سورة الروم

مقدمة

سورة الروم سورة مكيّة ، وبدأت ببعض حروف الهجاء وبذكر الروم ، والروم اسم قوم كانوا يسكنون شمال الجزيرة العربية وسميت السورة بذلك لذكرهم فيها ، والروم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم وهم أبناء عم بني إسرائيل ويقال لهم بنو الأصفر وكانوا على دين اليونان واليونان من سلالة يافث بن نوح أبناء عم الترك وكانوا يعبدون الكواكب السيارة السبعة .

نزل صدر هذه السورة لينبئ الرسول ـ ﷺ ـ والمسلمين بأمر غيبي سيقع بعد أعوام وهو انتصار الروم على الفرس بعد أن هُزموا ، وهذا الإخبار بأمر غيبي هو في غاية الإعجاز ومن أظهر الدلالات على نبوة وصدق الرسول الكريم ـ ﷺ ـ . وآيات السورة تتحدث عن آيات الله المبهرة في الكون[1] وهذه الآيات واضحة بيّنة لمن نظر وأمعن في ملكوت الله ومخلوقاته ، وكأن هذه الآيات هي كتاب الله المنظور التي منها يستدل الإنسان على عظمة الله وقدرته ، والقرآن الكريم هو كتاب الله المقروء الذي يوصلنا إلى معرفة الله واستشعار عظمته في خلقه سبحانه .

محور مواضيع السورة:

تركز السورة على مسائل العقيدة في إطارها العام وميدانها الفسيح كالإيمان بالله وحده ، وبالرسالة ، وبالبعث ، والجزاء .

---

١ – وقد تكررت كلمة (ومن آياته) في السورة سبع مرات

الدرس الأول

إعجاز القرآن الكريم

سورة الروم الآيات من (١-١٠)

إن معجزات النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ كثيرة واضحة وضوح الشمس في ضحاها ، وكان منها صدق نبوءته ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ولا سيما بإخباره عن بعض أمور الغيب التي أطلعه الله عليها ، وهذه الآيات تتناول جانباً من معجزاته ، وسوف نتعرض لتفصيل هذا إن شاء الله في الجانب التفسيري للآيات كما ورد عن العلماء الناقلين للعلم لنا ، وهذا نموذج من ذلك وهو تفسير أول سورة الروم .

النص

قال تعالى:

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
غُلبت	هُزمت .
أدنى الأرض	أقصى الأرض .
بضع	البضع من ثلاثة إلى تسعة .
عاقبة	مرجع ومصير .
أثاروا الأرض	هيجوها بكثرة الزراعة والعمران فيها .
عمروها	ملئوها .
البينات	الواضحات .
السوأى	أي السوء وتعني الخَلة التي تسوؤهم وهي النار .

سبب نزول السورة:

عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : كان فارس ظاهراً على الروم ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب وهم أقرب إلى دينهم ، فلما نزلت ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ ﴾ قالوا يا أبا بكر ، إن صاحبك يقول : إن الروم تظهر على فارس بضع سنين . قال : صدق . قالوا : هل لك أن نقامرك؟ فبايعوه على أربع قلائص إلى سبع سنين ، فمضت السبع ولم يكن شيء ، ففرح المشركون بذلك ، وشق على المسلمين ، فذكر ذلك للنبي ـ ﷺ ـ فقال : ما بضع سنين عندكم؟ قالوا : دون العشر . قال : اذهب فزايدهم وازدد

سنتين في الأجل قال : فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ، ففرح المؤمنون بذلك . وأنزل الله تعالى : ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ إلى قوله تعالى : «﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾[1] .

الشرح الإجمالي:

الإعجاز القرآني:

﴿الٓمٓ﴾ من الأحرف المقطعة في أوائل السور ، ومعناها الله تعالى أعلم بمراده وهو أحسن أوجه التفسير مع الإشارة أنه أفاد فائدتين :

١ – أن هذا القرآن المؤلف من مثل هذه الحروف المقطعة قد أعجز العرب عن تأليف مثله فدلّ ذلك على أنه وحي الله تعالى .

٢ – أنه لما كان المشركون يمتنعون عن سماع القرآن مخافة تأثيره عليهم ، جاء تعالى بمثل هذه الفواتح فكانت تضطرهم إلى الاستماع لأن هذه الحروف لم تكن معهودة في مخاطباتهم .

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ هزمت من الفرس وخسرت المعركة ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ في أقصى بلاد الشام من جهة بلاد العرب ، ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ هذه الآية تحمل بشارة بظهور أهل الحق على أهل الباطل وكذلك تحمل ما يصدق نبوءة النبي محمد ـ ﷺ ـ ، وكان حقاً ما وعد الله به فقد تحقق النصر للروم على الفرس ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ أي خلال الفترة الزمنية المحددة ببضع سنين ، والبضع من كنايات العدد وهو من ثلاث إلى تسع سنوات ، ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ أي أن الأمر لله من قبل هزيمة الروم ومن بعد نصرهم فالأمور تجري بمقادير قدّرها العزيز الحكيم .

١ - تفسير ابن كثير الجزء ٦ صفحة ٢٦٨

﴿ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦ ﴾

وقد حملت هذه الآية البشرى بأن الله تعالى ناصر المؤمنين ، وقد ورد أن نصر الروم جاء موافقاً لنصر المؤمنين يوم بدر وقيل جاءت البشرى بنصر الروم يوم الحديبية ، وكل ذلك بالنسبة للمؤمنين يعتبر من الفال الحسن بالبشارة بنصر الله تعالى لهم على أهل الشرك والوثنية مما جعلهم يفرحون ويستبشرون ، وكانت سُنة الله ماضيةً بذلك حيث إن وعد الله قد تحقق كما وعد بالنصر ، وكذلك ما من وعدٍ وعده الله عباده إلا ويتحقق سواء في الدنيا أو في الآخرة ، وهذه حقيقة يعترف بها كل مؤمن ولايجهلها إلا كل جاهل لا يقْدُر اللهَ حقَ قدرِه . فهؤلاء كما قال الله فيهم ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧ ﴾ أي في أمور الدنيا تراهم في غاية من الحذاقة والنباهة وفي أمور الآخرة يجهلون أبسط الأمور ، فالدنيا فانية والآخرة باقية تجده ذا علم بالذرة والمجرة ويصعد للفضاء ويستكشف معالم الكون ولكنه لا يعرف كيف يتوضأ أو يقرأ بعضاً من آيات القرآن فهل تَفَكرَ هؤلاءِ في أَحوالهم المؤسفة وقد قال الحسن البصري : والله لبلغ من أحدهم بدنياه أن يقلب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يصلي !

دعوة للفكر والتأمل:

يقول تعالى : ـ منبهاً على التفكر في مخلوقاته الدالة على وجوده وانفراده بخلقها ، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه ، ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ ﴾ يعني به النظر والتدبر والتأمل في خلق الله تعالى للأشياء من العالم العلوي والسفلي وما بينهما من المخلوقات المتنوعة والأجناس المختلفة ، فيعلموا أنها ما خُلقت سدى ولا باطلاً بل بالحق ، وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴾ ، ثم نبههم

على صدق رسله – عليهم السلام– فيما جاؤوا به عنه ، وبما أيدهم من المعجزات والدلائل الواضحات من إهلاك من كفر بهم ونجاة من صدقهم ، فقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي بأفهامهم وعقولهم ونظرهم وسماع أخبار الماضين والاستفهام للتقريع والتوبيخ ، ولهذا قال ﴿ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ ﴾ ﴿ فَيَنظُرُواْ ﴾ يشاهدوا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من طوائف المكذبين الذين أهلكهم الله بسبب كفرهم بالله ، وجحودهم للحق ، وتكذيبهم للرسل ﴿ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ مبينة للكيفية التي كانوا عليها من القوة الجسدية فكانوا أقدر وأقوى من كفار مكة فقد كانوا أكثر منهم أموالاً وأولاداً وما أوتيتم معشار ما أوتو ومكثوا في الدنيا تمكيناً لم تبلغوا إليه وعمروا فيها أعماراً طوالاً فعمروا الأرض بحراثتها وزراعتها ولم يكن أهل مكة أهل حرث ﴿ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾ لأنهم كانوا أطول أعماراً وأقوى أجساماً فعمروا الأرض بالأبينة والغرس ﴿ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ ﴾ أي بالمعجزات وقبل بالأحكام الشرعيةفكفروا بها ﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ بتعذيبهم على غير ذنب ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بالكفر والتكذيب والاستهزاء . ولهذا قال تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ كما قال تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[1] ، وقال تعالى :﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ ﴾[3] ، وعلى هذا تكون السوأى منصوبة مفعولاً لأساءوا ، وقيل بل المعنى في ذلك ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ

١ – سورة الأنعام : ١١٠ .
٢ – سورة الصف : ٥ .
٣ – سورة المائدة : ٤٩ .

﴿ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾ أي كانت السوأى ـ وهو خسرانهم وهلاكهم ـ عاقبتهم من أجل أنهم كذبوا بآيات الله ﴿ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ وأصروا على ذلك ولم يتوبوا .

هداية الآيات:

١ – القرآن الكريم أعجز البلغاء بفصاحته وبيانه .

٢ – صدق نبوءة النبي ـ ﷺ ـ .

٣ – اطلاع النبي ـ ﷺ ـ على بعض أمور الغيب من معجزاته ـ ﷺ ـ .

٤ – وعد الله تعالى لا يخلف ، ونصره للمؤمنين لايهمل .

٥ – التفكر في الخلق يؤدي إلى معرفة الخالق .

٦ – الأعمال بخواتيمها والأمور بعواقبها .

القيم المستفادة:

١ – تعظيم القرآن الكريم .

٢ – الثقة .

٣ – حب العلم .

التقويم

السؤال الأول:

اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

١ – البضع هو من (١ : ٣ – ٤ : ٨ – ٣ : ١٠) .

٢ – سورة الروم نزلت في (مكة – المدينة – بين مكة والمدينة) .

السؤال الثاني:

أ – علل ما يأتي:

– سميت سورة الروم بهذا الاسم :

- .....
- .....

– فرح المشركون لهزيمة الروم وفرح المسلمون ببشارة نصرهم على المجوس :

- .....
- .....

ب – ما فائدة الأحرف المقطعة في أوائل السورة؟

- .....
- .....

السؤال الثالث:

أ – أملأ الفراغات التالية بما يناسبها:

يحمل قوله تعالى ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ بشارة وهي .....

وتصديق وهو ..... .

ب – اكتب النص المناسب للمعاني التالية:

١ – مما يدل على صدق نبوءة النبي –ﷺ– وعده بنصر أهل الكتاب على الوثنيين .

• .....

٢ – السير في الأرض إنما هو دعوة للعبرة والعظة بمن سبق .

• .....

الدرس الثاني

بداية الخلق وبعثهم

من سورة الروم الآيات (١١- ٢١)

إن الله رب السماوات والأرض وما بينهما بيده بدء الخلق ، وكما بدأهم فهو قادر على إعادتهم وحسابهم يوم القيامة حيث لا نجاة يومئذٍ إلا لمن كان وفق ما أراد الله منه ، وهذا عمل يستوجب تنزيه الله تعالى عما لا يليق بجلاله وكماله كما يستلزم حمده ، لذا أرشد الله تعالى عباده بتسبيحه وتحميده في أوقات متعاقبة من الصباح والمساء .

النص

قال تعالى:

ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
يبلس	ييأس ، ولذلك سمي إبليس بذلك لأنه أيس من رحمه الله .
شفعاء	وسطاء .
روضة	كل أرض ذات أشجار وماء وأزهار وهي لأهل الجنة في الجنة .
يحبرون	ينعمون ويكرمون ويسرون .
محضرون	مدخلون فيه لايغيبون عنه .
فسبحان	تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق به ، وحمده والثناء عليه بماهو أهل له من صفات الجلال والكمال .
حين تمسون	وقت المغرب والعشاء .
حين تصبحون	وقت الصبح والظهر .

الشرح الإجمالي للآيات:

حال الكفار يوم القيامة:

﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ ﴾ أي كما هو قادر على بدء الخلق فهو قادر على إعادته مرة أخرى في الآخرة ﴿ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ أي يوم القيامة ، فيجازي كل عامل بعمله ، وفي هذا تطمين للمؤمنين بأنهم مكافؤون ، وتهديد للمشركين بأنهم مؤاخذون . ثم قال ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ أي ييأس المجرمون ، وقيل يفتضح المجرمون ، وفي رواية يكتئب المجرمون ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ ﴾لم يكن

للمشركين يوم تقوم الساعة من شفعاء يستنقذونهم من عذاب الله وإذ ذاك يستبين لهم جهلهم وخطؤهم فكفروا بهم لأنهم علموا إذا ذاك أنهم لا ينفعون ولا يضرون .

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ يتفرق جميع الخلق فكل طائفة تنفرد فالمؤمنون يصيرون إلى الجنة والكافرون إلى النار وذلك بعد تمام الحساب فلا يجتمعون أبداً قال قتادة : هي والله الفرقة التي لا اجتماع بعدها ، يعني أنه إذا رفع هذا إلى عليين وخفض هذا إلى أسفل سافلين ، فذلك آخر العهد بينهما ، ثم بيّن تعالى كيفية تفرقهم : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ قال مجاهد وقتادة : ينعمون . وقال يحيى بن أبي كثير : يعني سماع الغناء والحبرة أعم من هذا كله . أي فهم في رياض الجنة ينعمون ويكرمون فيسرون . ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ فأما الذين كفروا بالله وكذبوا بالبعث والجنة والنار فأولئك في العذاب مقيمون ، والمراد دوام عذابهم .

مواقيت الصلاة:

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

هذا تسبيح منه تعالى لنفسه المقدسة ، وإرشاده لعباده إلى تسبيحه وتحميده في هذه الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه : عند المساء وهو إقبال الليل بظلامه ، وعند الصباح وهو إسفار النهار عن ضيائه .

وقوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه خطاب للمؤمنين بالأمر بالعبادة والحض على الصلاة في هذه الأوقات . قال

ابن عباس : الصلوات الخمس في القرآن ، قيل له : أين؟ فقال : قال الله تعالى ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ صلاة المغرب والعشاء ﴿ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ صلاة الفجر ﴿ وَعَشِيًّا ﴾ العصر ﴿ وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ الظهر .

وعن ابن عباس أيضاً وقتادة : أن الآية تنبيه على أربع صلوات : المغرب والصبح والعصر والظهر ،قالوا :والعشاء الآخرة هي في آية أخرى في ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾[1] .وقال النحاس :أجمع أهل التفسير على أن هذه الآية ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ في الصلوات .

القول الثاني: أي فسبحوا الله في الصلوات ، لأن التسبيح في الصلاة .

القول الثالث: فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، أي : فصلوا لله حين تمسون وحين تصبحون .

وفي تسمية الصلاة بالتسبيح وجهان:

أحدهما: لما تضمنها من ذكر التسبيح في الركوع والسجود.

والثاني: مأخوذ من السبحة والسبحة الصلاة، والدليل على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن أباه أخبره أنه رأى النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ صلى السبحة بالليل في السفر على ظهر راحلته حيث توجهت به . رواه البخاري والمراد بقوله السبحة النافلة ، وأصلها من التسبيح .

﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ اعتراض بين الكلام بدؤوب الحمد على نعمه وآلائه . وقيل : معنى ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ﴾ أي الصلاة له لاختصاصها بقراءة الحمد . والأول أظهر ، فإن الحمد لله من أنواع تعظيم الله تعالى والحض على عبادته ودوام نعمته ، فيكون نوعاً آخر خلاف الصلاة . وبدأ بصلاة المغرب لأن الليل يتقدم النهار . وفي سورة «الإسراء» بدأ بصلاة

---

١ – سورة هود : ١١٤ .

الظهر إذ هي أول صلاة صلاّها جبريل بالنبي ـ ﷺ ـ . وخص صلاة الليل باسم التسبيح وصلاة النهار باسم الحمد لأن للإنسان في النهار متقلباً في أحوال توجب حمد الله تعالى عليها ، وفي الليل على خلوة توجب تنزيه الله من النقائص فيها ، فلذلك صار الحمد بالنهار أخص فسميت به صلاة النهار ، والتسبيح بالليل أخص فسميت به صلاة الليل . والفرق بين المساء والعشاء : أن المساء بدو الظلام بعد المغيب ، والعشاء آخر النهار عند ميل الشمس للمغيب ، وهو مأخوذ من عشا العين وهو نقص النور من الناظر كنقص نور الشمس .

كمال قدرة الله ـ ﷻ :

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

هو ما نحن فيه من قدرته على خلق الأشياء المتقابلة فيذكر فيها خلقه الأشياء وأضدادها ليدل خلقه على كمال قدرته سبحانه ، أي كما أحيا الأرض بإخراج النبات من الحب والحب من النبات والإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان ، كذلك يحييكم الله تعالى بالبعث بعد موتكم . واستدل المفسّرون من هذه الآية على صحة القياس .

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

أي من علامات ربوبيته ووحدانيته أن خلقكم من تراب ، أي خلق أباكم منه والفرع كالأصل ، فأصلكم من تراب ، ثم من ماء مهين ، ثم تصور فكان علقة ، ثم مضغة ، ثم صار عظاماً مشكلة على شكل إنسان ، ثم كسا تلك العظام لحماً ثم نفخ فيه الروح فإذا هو سميعٌ بصيرٌ ، ثم خرج من بطن أمه صغيراً ضعيف القوى والحركة ، ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار به أن يسافر ويدور أقطار الأرض ويتكسب ويجمع الأموال ، وله رأيٌ وعلمٌ واتساعٌ في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه ، فسبحان من أقدرهم وسيرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعايش والمكاسب .

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ ثم أنتم عقلاء ناطقون تتصرفون فيما هو قوام معايشكم ، فلم يكن ليخلقكم عبثاً ، ومن قدر على هذا فهو أهل للعبادة والتسبيح .

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

ومعنى : ﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ ، ﴿ أَزْوَٰجًا ﴾ : أي نساء تسكنون إليها . ﴿ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ أي من نطف الرجال وقيل : المراد حواء ، خلقها الله تعالى من الضلع الأقصر الأيسر لآدم عليه السلام ، ومن تمام رحمته أن جعل النساء من جنسكم ولو اختلف الجنس لما حصل هذا الائتلاف بينكم ، بل لحصلت النفرة ، وجعل بينكم المودة والرحمة : وهو عطف قلوب بعضكم على بعض . وقيل المودة : المحبة ، والرحمة : الشفقة والرأفة ، والمراد منها حب الرجل امرأته ، ورحمته إياها أن يصيبها بسوء ، فهما يتوادان ويتراحمان وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما .

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ﴾ : أي دلائل وحجج واضحة ﴿ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ :باستعمال عقولهم بالنظر والفكر في عظمة الله تعالى وقدرته وعلمه ورحمته ، وكلها تقتضي توحيده ومحبته وطاعته بفعل محابه وترك مساخطه .

هداية الآيات:

١ – بيان قدرة الله تعالى على بدء الخلق وإعادته .

٢ – سيطرة جانب اليأس من رحمة الله تعالى على المشركين .

٣ – بيان رفعة المؤمنين على الكافرين في الآخرة .

٤ – التنبيه على الصلوات الخمس وأوقاتها .

٥ – الحض على تعظيم الله تعالى بذكره وشكره .

٦ – تقرير عقيدة البعث والنشور في الآخرة .

٧ – خلق الله تعالى المرأة من جنس زوجها لتأتلف قلوبهما .

القيم المستفادة:

١ – الوحدانية .

٢ – حب الصالحات .

٣ – حب الأسرة .

التقويم

السؤال الأول:

أ – أجب عما يأتي:

١ – مالذي تقرره الآية الأولى ﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾؟

.....

.....

٢ – تحمل الآية رسالتين واحدة للمؤمنين وأخرى للكافرين – فما هما؟

.....

.....

٣ – ما المراد بالفُرقة في قوله تعالى ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴾؟

.....

.....

السؤال الثاني:

ب – أكمل ما يأتي:

١ – وردت ثلاثة أقوال في قوله تعالى : ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ هي :

- .....
- .....
- .....

٢ – اختصت صلاة الليل بـ.....وصلاة .....باسم الحمد .

٣ – الفرق بين المساء والعشاء أن المساء بدو .....وأن العشاء ..... .

السؤال الثالث:

استخرج من الآيات مايدل على:

١ – القياس الصحيح .

.....

.....

٢ – إحياء الموتى .

.....

.....

٣ – خلق الإنسان من نفس واحدة .

.....

.....

الدرس الثالث

التنوع في الخلق

سورة الروم الآيات من (٢٢-٢٩)

إن التنوع في الخلق مع وحدة الأصل دليل قاطع على الوحدانية ، لاسيما أن الاختلاف ظاهر ومتباين ، وهذا مما يدعو إلى العلم اليقيني بأن الخالق واحد لا شريك له ، وهذه الآيات تبيّن لنا هذه المعاني في جلاء ووضوح .

النص

قال تعالى:

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
ابتغاؤكم	طلبكم للرزق .
تقوم	تقوم الأرض بلا حامل يحملها والسماء بلا أعمدة تعمدها .
قانتون	مطيعون منقادون .
يبدأ الخلق	بداية الخلق من العدم .
أهون عليه	ليس بصعب عليه فهو أمر هين .
العزيز الحكيم	القوي الذي لايُغلب والحكيم في قوله وفعله .
نفصل	نوضح ونبيّن بضرب المثل .
يهدي	يرشد ويبين .

الشرح الإجمالي للآيات:

دعوة للتأمل والتفكر:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فإن من خلق هذه الأجرام العظيمة التي هي أجرام السموات والأرض وجعلها باقية ما دامت هذه الدار ، وخلق فيها من عجائب الصنع وغرائب التكوين ما هو عبرة للمعتبرين ، قادر على أن يخلقكم بعد موتكم وينشركم من قبوركم .

﴿ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ ﴾ أي لغاتكم من عرب ، وعَجَم ، وتُرْكٍ ، وروم وغير ذلك من اللغات ، ﴿ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ ﴾ من البياض والسواد والحمرة والصفرة مع كونكم أولاد رجل واحد وأم

واحدة ، ويجمعكم نوع واحد وهو الإنسانية ، وكل فرد من أفرادكم به ما يميزه عن غيره من الأفراد ، وفي هذا من بديع القدرة ما لا يعقله إلا العالمون ، ولا يفهمه إلا المتفكرون ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ أي أن في هذا التباين لعبرة لكل ذي علم وبصيرة ﴿ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ للذين هم من جنس هذا العالم من غير فرق بين بر وفاجر . وقد قرأ الجمهور بفتح لام العالمين ، وقرأ حفص وحده بكسرها .

دلائل العظمة:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ ۚ ﴾ قيل في الكلام تقديم وتأخير ، والتقدير : ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار . وقيل المعنى صحيح من دون تقديم وتأخير : أي ومن آياته العظيمة أنكم تنامون بالليل وتنامون بالنهار في بعض الأحوال للاستراحة كوقت القيلولة وابتغاؤكم من فضله فيهما ، فإن كل واحد منهما يقع فيه ذلك ، وإن كان ابتغاء الفضل في النهار أكثر . والأول هو المناسب لسائر الآيات الواردة في هذا المعنى ، والآخر هو المناسب للنظم القرآني ها هنا . ووجه ذكر النوم والابتغاء ها هنا وجعلهما من جملة الأدلة على البعث أن النوم شبيه بالموت ، والتصرف في الحاجات والسعي في المكاسب شبيه بالحياة بعد الموت ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ أي يسمعون الآيات والمواعظ سماع متفكر متدبر فيستدلون بذلك على البعث .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ - ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ أي ومن آياته الدالة على عظيم قدرته أن يريكم البرق فتخافون مما فيه من الصواعق وما يتبعه من البرد فيهلك زرعكم ، وتطمعون فيما يجلبه من الذي ينزل من السماء .

﴿ فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ أي يحييها بالنبات بعد جدبها وجفافها وموتها باليباس ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ، فإن من له نصيب من العقل يعلم أن ذلك آية يستدل بها على القدرة الباهرة . وبرهان قاطع ودليل ساطع على البعث والنشور وقيام الساعة .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

ومن آياته الدالة على قدرته قيام السماء والأرض واستقرارها وثباتهما بأمره فلم تتزلزلا ولم تسقط السماء على الأرض فلا عمد يعمدهما ، ولا مستقر يستقران عليه ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ أي ثم بعد موتكم ومصيركم في القبور إذا دعاكم دعوة واحدة ذهلتم وهممتم بالخروج منها بسرعة من غير توقف ، كما يجيب المدعو المطيع دعوة الداعي المطاع . و﴿ مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ متعلق بدعا : أي دعاكم من الأرض التي أنتم فيها ، كما يقال دعوته من أسفل الوادي فطلع إلى ، وهذه الدعوة هي نفخة إسرافيل الآخرة في الصور .

﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

ولله جميع المخلوقات ملكاً وتصرفاً وخلقاً ، ليس لغيره في ذلك شيء ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ أي مطيعون طاعة انقياد ، وقيل مقرون بالعبودية ، وقيل مصلون ، وقيل قائمون يوم القيامة كقوله : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] : أي للحساب ، وقيل بالشهادة أنهم عباده ، وقيل مخلصون .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ وهو أهون عليه أي وهو الذي يبدأ الخلق من غير أصل له فينشئه بعد أن لم يكن شيئاً ، ثم يفنيه بعد ذالك بالموت ، ثم يعيده كما بدأه وذلك أسهل عليه وذلك أن من فعل شيئاً مرة كانت الإعادة أسهل عليه ، والخلاصة : إن الإعادة أسهل

١- سورة المطففين : (٦)

على الله تعالى من البدء والمراد بذلك تقريب المعنى لعقول الجهلة المنكرين للبعث ، وإلا فكل الممكنات بالنظر إلى قدرته سواء ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وهو كل صفة كمال لله تعالى ، والكمال في تلك الصفة يتأكد بالمحبة والإنابة التامة الكاملة في قلوب عباده المخلصين . فالمثل الأعلى ، هو وصفه الأعلى ، وما ترتب عليه . ولهذا كان أهل العلم ، يستعملون في حق الباري ، قياس الأولى ، فيقولون : كل صفة كمال في المخلوقات ، فخالقها أحق بالاتصاف بها ، على وجه لا يشاركه فيها أحد . وكل نقص في المخلوق ، ينزه عنه ، فتنزيه الخالق عنه ، من باب أولى وأحرى . ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ أي : له العزة الكاملة فلا يُغلب ولا يغالب ، والحكمة الواسعة في الأقوال والأفعال وتدبير أمور خلقه . فبعزته أوجد المخلوقات ، وأظهر المأمورات . وبحكمته أتقن ما صنعه ، وأحسن فيها ما شرعه .

سفاهة المشركين:

﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

هذا مثل ضربه الله تعالى ، لقبح الشرك وتهجينه ، ضربه الله تعالى للمشركين به الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيداً له ، وملك له ، كما كانوا يقولون : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك . فقال تعالى ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ أي تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم ﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾ أي أيرضى أحدُكم أن يكون عبده شريكاً له في ماله فيقاسمه إياه على السواء ﴿ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ أي تخافون أن يقاسموكم الأموال ، والمعنى أن أحدكم يأنف من ذلك ، فكيف تجعلون لله تعالى الأنداد من خلقه؟ . وهذا كقوله تعالى ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾[1] ، حيث جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً وجعلوها

١- سورة النحل : ٦٢

بنات الله تعالى ، وقد كان أحدهم إذا بشر بالأنثى ظل وجهه مسوداً فهم يأنفون من البنات فنسبوا إليه ـ سبحانه ـ ما لا يرتضونه لأنفسهم فهذا أغلظ الكفر ، وهكذا في هذا المقام جعلوا له شركاء من عبيده وخلقه ، وأحدهم يأبى غاية الإباء من ذلك أن يكون عبده شريكه في ماله يساويه فيه ولو شاء لقاسمه عليه ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ وهذا من أعجب الأشياء ، ومن أدلها على سفه من اتخذ شريكاً مع الله ـ ﷻ ـ .

﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾ بتوضيحها بأمثلتها ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ فيتدبرونها إذا سمعوها ويعتبرون فيتعظون بها . وأما من لا يعقل ، فلو فصلت له الآيات ، وبينت له البينات ، لم يكن له عقل يبصر به ما تبيّن ، ولا لب يعقل به ما توضح . فأهل العقول والألباب ، هم الذين يساق إليهم الكلام ، ويوجه لهم الخطاب . وإذا عُلم من هذا المثال ، أن من اتخذ من دون الله شريكاً ، يعبده ويتوكل عليه في أموره ، ليس معه من الحق شيء ، فمن الذي أوجب لهم الإقدام على أمر باطل ، فوضّح الله بطلانه ، وأظهر برهانه؟ لقد أوجب لهم ذلك إتباع الهوى ، فلهذا قال :

﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

هوت أنفسهم الناقصة التي ظهر من نقصها ما تعلق به هواها ، أمراً يجزم العقل بفساده ، والفطرةُ برده ، بغير علم دلهم عليه ، ولا برهان قادهم إليه . ﴿ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ ﴾ أي : لا تعجبوا من عدم هدايتهم ، فإن الله تعالى أضلهم بظلمهم ، ولا طريق لهداية من أضل الله تعالى ، لأنه ليس أحد معارضاً أو منازعاً له في ملكه . ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ أي ليس لهم من قدرة الله منقذ ولا مجير ولا محيد لهم عنه ينصرونهم حين تحق عليهم كلمة العذاب ، وتنقطع بهم الأسباب ، لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

هداية الآيات:

١ – السموات والأرض من دلائل قدرة الله تعالى .

٢ – تنوع المخلوقات دليل على عظمة الخالق .

٣ – تقرير عقيدة البعث بعد الموت .

٤ – لاقيام للسماء والأرض وما بينهما إلا بالله تعالى .

٥ – بيان قدرة الله تعالى على إعادة الخلق .

٦ – ضرب المثل في القرآن لتقريب الصورة إلى الأذهان .

القيم المستفادة:

١ – العلم .

٢ – القنوت .

٣ – إخلاص العبادة .

التقويم

السؤال الأول:

أجب عن الأسئلة الآتية:

١ – ما الذي ترشد إليه الآية الأولى في هذا الدرس؟

.....

.....

.....

٢ – ما وجه ذكر النوم وابتغاء الفضل في هذا المقام؟

.....

.....

.....

٣ – حدّد القراءات الواردة في قوله تعالى ﴿ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ على ضوء ما درست في المنهج .

.....

.....

٤ – ما المثل الذي ضربه الله تعالى ليدلل على قبح الشرك؟

.....

.....

السؤال الثاني:

علام تدل هذه النصوص القرآنية التالية:

١ – ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ ﴾ .

.....

.....

٢ – ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ﴾ .

.....

.....

٣ – ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ .

.....

.....

السؤال الثالث:

أكمل مايأتي:

– كل صفة كمال في ..... ، فخالقها ..... بالاتصاف بها ، على وجه لا ..... فيها أحد وكل نقص في ..... ، ينزه عنه ـ ﷻ ـ .

الدرس الرابع

الدين القيم

سورة الروم الآيات من (٣٠-٣٧)

ينبغي على الإنسان أن يستقيم على أمر الله تعالى وأن لايبدل ولا يغير في فطرته ، وذلك لأن الإنسان أصلاً مجبول على الخير . وليعلم بأن الهدى خيرمن اتباع الهوى . وهذه الآيات تبيّن لنا مدى حض الله سبحانه نبيه ـ ﷺ ـ على التزام الدين القيم وتعهده بالاستقامة على أمر الله تعالى .

النص

قال تعالى:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
أقم وجهك	سدد وجهك .
حنيفاً	مائلاً عن الباطل إلى الحق وهو الإسلام .
فطرة الله	صنعة الله .
الدين القيم	الدين المستقيم المستوى الذي لاعوج فيه ولا إنحراف .
منيبين	راجعين إليه بالتوبة والاستغفار وفعل ما يحبه ويرضاه .
شيعاً	طوائف وأحزاب وفرق .
حزب	جماعة على شاكلة واحدة .
مسَّ	أصاب .
سلطاناً	حجة أو برهان .
يبسط	يوسع .

الشرح الإجمالي للآيات:

مظاهر الاستقامة:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ ﴾ أي فسدد وجهك واجعله متجهاً لأمر الله تعالى غير معوج ، متبعاً صراطه المستقيم ، واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم الذي

هداك الله تعالى لها وكملها لك غاية الكمال ، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ فلقد فطر الله تعالى الناس جميعاً على الإيمان .

فإن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يحدث : قال النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[1] ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء[أ] ، هل تحسون فيها من جدعاء[ب] . ثم يقول أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ . وهذا التسديد والاتباع إنما هو حقيقة الفطرة أي الخلقة والجبلة التي جبل الله تعالى الإنسان عليها أصلاً .

﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ وعمل غير ذلك يعتبر تبديلاً ظاهراً لخلق الله تعالى لأن الإنسان إذا غير فطرته يكون قد غير ملامح شخصيته الإيمانية واستخدم نفسه في غير ما خلقه الله تعالى من أجله .

﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ وهذا التسديد وتلك المتابعة لأمر الله يمثلان الدين القيم دين الحق والمتناسق مع ماجاء به الرسل جميعاً ، وبالأخص رسولنا محمد ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وإن كانت هذه هي الحقيقة إلا أن أكثر الناس ممن طمس الله تعالى على بصيرتهم وبصائرهم لم يدركوا حقيقة الإيمان ولا جوهر التوحيد فظلوا في غيهم يعمهون وعلى كفرهم قائمون . ثم بعد ذلك يتوجه للمؤمنين بأن يرجعوا إلى الله بقلوبهم وأعمالهم فيقول تعالى :

﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي خافوه ارجعوا إليه بإقامة الصلاة وهي من أجل

١- صحيح البخاري - كتاب الجنائز ما من مولود إلايولد على الفطرة

أ - مستوية لم يذهب من بدنها شيء

ب - مقطوعة الأذن أو الأنف

مظاهر تحقيق العبودية لله ـ ﷻ ـ في الأرض لأنها تشتمل على التسبيح والتحميد والتهليل ، ومعالم التوحيد وكذلك بترك العقائد الفاسدة والديانات الملحدة ، ونبذ جميع معالم الشرك ومظاهره ، والأخذ بالتوحيد وتوابعه ، ولقد ورد أن عمر سأل معاذ بن جبل ، فقال له : ماقوام هذا الأمر يعني بذلك أمر الدين فقال : ثلاث منجيات هن : (الإخلاص – الفطرة – العصمة) ، ثم حذّر ـ سبحانه ـ من أن نكون كالسابقين ممن كفروا وبدلوا وغيروا في دينهم وتفرقوا في معتقداتهم حتى رُدوا عن الحق إلى الباطل ، فقال تعالى محذراً : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ ﴾ أي كانوا أحزاباً مثل اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين ، ومن فارقوا دينهم ، وممن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض ، وقد تحزبت هذه الأحزاب للباطل وانتصرت له وظنوا بذلك أنهم أحرزوا أهدافهم في هذه الحياة ، وقد بيّن الله ـ ﷻ ـ لرسوله ـ ﷺ ـ أنه ليس منهم وكذلك من آمن به من أهل الإسلام فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[1] فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء ومُثُل باطلة ، وكل فرقة منهم تزعم أنها على شيء ، وهذه الأمة أيضاً اختلفوا فيما بينهم على نِحَل كلها ضالة إلا واحدة وهم أهل السنة والجماعة ، المتمسكون بكتاب الله ـ ﷻ ـ وسنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه ، ويا أسفاه تجد هؤلاء رغم الباطل الذي هم عليه يفرحون بمعصية الله ـ ﷻ ـ والشرك به وتراهم كما قال الله تعالى عنهم ﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ ، أي كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم الحق فأحدثوا البدع التي أحدثوا ﴿ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ أي بما هم به متمسكون من المذهب فرحون مسرورون يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم .

---

١ – سورة الأنعام : ١٥٩ .

جلاء الفطرة:

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن الناس أنهم في حال الشدة والبلاء يدعون الله تعالى وحده لا شريك له ، وأنه إذا أسبغ عليهم النعم إذا فريق منهم في حالة الاختيار يشركون بالله تعالى ويعبدون معه غيره .

﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾ اللام هنا هي لام العاقبة عند بعضهم ، ولام التعليل عند آخرين ، ولكنها تعليل لتقييض الله تعالى لهم ذلك ، ثم توعدهم بقوله ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ فقال بعضهم : والله لو توعدني حارس درب لخفت منه ، فكيف والمتوعد ههنا هو الذي يقول للشيء كن فيكون؟ لذا يقول لهم ﴿ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ، ثم قال منكراً على المشركين فيما اختلقوا فيه من عبادة غيره بلا دليل ولا حجة ولا برهان ﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا ﴾ أي حجة ﴿ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ ﴾ أي ينطق ﴿ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴾ وهذا استفهام إنكار ، أي لم يكن لهم شيء من ذلك .

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ﴾ هذا إنكار على الإنسان إلا من عصمه الله ووفقه ، فإن الإنسان إذا أصابته نعمة بطر . وقال ﴿ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾[1] أي يفرح في نفسه ويفخر على غيره . ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ وإذا أصابته شدة قنط وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير بالكلية . قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[2] أي صبروا في الضراء وعملوا الصالحات في الرخاء . كما ثبت في صحيح مسلم قوله ـ ﷺ ـ «عجباً لأمر المؤمن . إن أمره كله خير . وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن . إن أصابته سراء شكر . فكان خيراً

١- سورة هود : ١٠

٢- سورة هود : ١١

له . وإن أصابته ضراء صبر . فكان خيراً له»[1] .

ثم أنكر على من يلحقهم اليأس لدى الضراء فقال :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

أي هو المتصرف الفاعل لذلك بحكمته وعدله ، فيوسع على قوم ويضيق على آخرين ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ وهذه أمور لا تستقر إلا في قلب المؤمن بربه إيماناً لا يعتريه شك ولا ريبة .

هداية الآيات:

١ – الإسلام دين الفطرة .

٢ – تتوارث العقائد كتوارث الأموال والطباع .

٣ – بيان فضل التوبة والرجوع إلى الله تعالى .

٤ – من مظاهر العبادة التحميد والتسبيح والتهليل .

٥ – قوام الدين الإخلاص والفطرة والعصمة .

٦ – الإنسان يلجأ بضعفه إلى الله تعالى دائماً .

٧ – التمرد طبيعة الكافرين والمجرمين .

القيم المستفادة:

١ – الفطرة .

٢ – الإنابة .

٣ – شكر النعم .

---

١ – صحيح مسلم – كتاب الزهد والرقائق – باب المؤمن أمره كله خير ٥٣١٨ . .

التقويم

السؤال الأول:

أجب عن الأسئلة الآتية:

١ – استدل من السنة النبوية على أن الإسلام دين الفطرة .

- .....
- .....

٢ – قال معاذ بن جبل لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما ثلاث منجيات وهن قوام الدين فما هن؟

- .....
- .....
- .....

٣ – اكتب اثنين مما ترشد إليه الآيات .

- .....
- .....

السؤال الثاني:

علل مايأتي:

١ – حرص الإسلام على عدم تغيير الفطرة وتبديلها .

- .....

٢ – الصلاة من أجل مظاهر تحقيق العبودية لله ـ ﷻ ـ في الأرض .

• .....

٣ – تعجب النبي ـ ﷺ ـ من أمر المؤمن .

• .....

السؤال الثالث:

استخرج من الآيات ما يوافق المعاني الآتية:

١ – التوبة والرجوع إلى الله تعالى وإقامة الصلاة .

• .....

٢ – الإنسان رجاع إلى ربه في الشدة معْرِض في الرخاء .

• .....

٣ – الله تعالى يعطي من يشاء ويمنع عمن يشاء .

• .....

الدرس الخامس

الربا الحلال

سورة الروم الآيات من (٣٨-٤٥)

إن ما يميز المؤمن أنه يعطي كل ذي حق حقه والآيات التالية ترشدنا إلى ذلك الإعطاء بما يتفق مع روح الشرع الكريم ونظمه القويم ، ومعلوم أن كل قرض جر نفعاً فهو ربا ، وهنا يتجلى نوع جديد من أنواع الربا يسمى بالربا المباح ، حيث إنه يقوم على طلب زيادة مباحة ممن يتعامل معه ، والآيات توضّح ذلك المعني وضوحاً جلياً لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

النص

قال تعالى:

فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
فَآتِ ذَا الْقُرْبَى	أعط ذا القرابة حقه من البر والصلة والصدقة .
المسكين	المعدم الذي لا مال ل
وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ	الهدية التي يتوقع بها مزيد مكافأة .
زَكَاةٍ	صدقة مفروضة في الأموال للفقراء .
الْمُضْعِفُونَ	الذين يضاعف الله لهم الأجر والثواب .
لِيُذِيقَهُمْ	ليعذبهم في الآخرة ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم في الدنيا .
عَاقِبَةُ	نهاية المكذبين .
فَأَقِمْ وَجْهَكَ	استقم على طاعة الله تعالى .
الْقَيِّمِ	المحكم .
يَصَّدَّعُونَ	يتفرقون .
يَمْهَدُونَ	يوطئون ويفرشون .

الشرح الإجمالي للآيات:

إحقاق الحق:

﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

لما بيّن سبحانه في الآية السابقة كيفية التعظيم لأمر الله تعالى ، أشار إلى ما ينبغي من مواساة القرابة وأهل الحاجات ممن بسط الله ـ ﷻ ـ له في رزقه فقال : ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ والخطاب

للنبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأمته ، أو لكل مكلف له مال وسّع الله ـ ﷻ ـ به عليه ، وقدم الإحسان إلى القرابة لأن خير الصدقة ما كان على قريب ، فهو صدقة مضاعفة وصلة رحم مرغوب فيها ، والمراد الإحسان إليهم بالصدقة والصلة والبر .

﴿ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أي وآتِ المسكين وابن السبيل حقهما الذي يستحقانه . ووجه تخصيص الأصناف الثلاثة بالذكر :

١ – أنهم أولى من سائر الأصناف بالإحسان .

٢ – ولكون ذلك واجباً لهم على كل من له مال فاضل عن كفايته وكفاية من يعول .

وقد اختلف في هذه الآية هل هي محكمة أو منسوخة؟ فقيل هي منسوخة بآية المواريث . وقيل محكمة ، وللقريب في مال قريبه الغني حق واجب ، وبه قال مجاهد وقتادة . قال مجاهد : لا تقبل صدقة من أحد ورحمه محتاج . قال مقاتل : حق المسكين أن يتصدق عليه ، وحق ابن السبيل الضيافة . وقيل المراد بالقربى النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ . قال القرطبي : والأول أصح ، فإن حقهم مبيّن في كتاب الله ـ ﷻ ـ في قوله : ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[1] وقال الحسن : إن الأمر في إيتاء القربى للندب .

﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ﴾ أي ذلك الإيتاء أفضل من الإمساك لمن يريد التقرب إلى الله سبحانه .

﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ أي الفائزون بمطلوبهم حيث أنفقوا لوجه الله ـ ﷻ ـ امتثالاً لأمره .

جزاء الضعف:

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

١ - سورة الأنفال: (٤١)

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم ﴾ قرأ الجمهور آتيتم بالمد بمعنى أعطيتم ، وقرأ مجاهد بالقصر بمعنى ما فعلتم ، وأجمعوا على القراءة بالمد في قوله ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا ﴾ وأصل الربا الزيادة ، وقراءة القصر تؤول إلى قراءة المد ، لأن معناها ما فعلتم على وجه الإعطاء ، والمعنى في الآية : ما أعطيتم من زيادة خالية عن العوض ﴿ لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾ أي ليزيد ويزكوا في أموالهم ﴿ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي لا يبارك الله تعالى فيه . قال السدي : الربا في هذا الموضع الهدية يهديها الرجل لأخيه يطلب المكافأة ، لأن ذلك لا يربو عند الله تعالى فلا يؤجر عليه صاحبه ولا إثم عليه ، ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ﴾ أي وما أعطيتم من صدقة لا تطلبون بها المكافأة ، وإنما تقصدون بها ما عند الله تعالى ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ فأولئك يعني الذين يتصدّقون بأموالهم ملتمسين بذلك وجه الله ـ ﷻ ـ هم المضعفون ، يقول : هم الذين لهم الضعف من الأجر والثواب عند الله تبارك وتعالى .

من نعم الخالق سبحانه:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

قوله ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ﴾ أي هو الخالق الرازق يخرج الإنسان من بطن أمه عرياناً لا علم له ولا سمع ولا بصر ولا قوى ثم يرزقه الرياش واللباس والمال والأملاك والمكاسب « كما روي بإسناد صحيح عن حبة وسواء ابني خالد ، أنهما أتيا رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وهو يعمل عملاً يبني بناءً فأعناه عليه فلما فرغ دعانا ، فقال : لا تأيسا من الخير ما تهزهزت رءوسكما ، فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يعطيه الله ويرزقه»[1] .

وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ أي بعد هذه الحياة يقبض أرواحكم ﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ ﴾ أي يوم القيامة للبعث وقوله تعالى موبخاً لهم ﴿ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم ﴾ أي الذين

١ – مسند أحمد – مسند المكيين – لا تأيسا من الخير . . ١٥٤٢٩

تعبدونهم من دون الله ﴿ مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ﴾ أي لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك ، ومعلوم أنهم يقولون ليس فيهم من يفعل شيئاً من ذلك ، فتقوم عليهم الحجة ، بل الله ـ ﷻ ـ هو المستقل بالخلق والرزق والإحياء والإماتة ثم يبعث الخلائق يوم القيامة ، ولهذا قال بعد هذا كله ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي تعالى وتقدس وتنزه وتعاظم وجل وعز عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساوٍ أو ولد أو والد وهو متعال عن أن يجوز عليه شيء من ذلك ، بل هو الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . وقوله : ﴿ مِن شُرَكَآئِكُم ﴾ خبر مقدم ومن للتبعيض ، وأضاف الشركاء إليهم لأنهم كانوا يسمونهم آلهة ، ويجعلون لهم نصيباً من أموالهم .

أسباب الفساد في الأرض:

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

بيّن سبحانه أن الشرك والمعاصي سبب لظهور الفساد في العالم . واختلف في معنى ظهور الفساد المذكور على عدة أقوال فقيل :

١ – هو القتل والظلم الواقعان من بني آدم .

٢ – هو القحط وعدم النبات ونقصان الرزق .

٣ – هو كثرة الخوف ، ونحو ذلك .

والظاهر من الآية ظهور ما يصح إطلاق اسم الفساد عليه سواء كان راجعاً إلى أفعال بني آدم من معاصيهم واقترافهم السيئات وتقاطعهم وتظالمهم وتقاتلهم ، أو راجعاً إلى ما هو من جهة الله ـ ﷻ ـ بسبب ذنوبهم كالقحط وكثرة الخوف والموت ونقصان الذرائع ونقصان الثمار . والبر والبحر هما المعروفان المشهوران ، وقيل البر : الفيافي ، والبحر : القرى التي على ماء ، والعرب تسمي

الأمصار البحار . قال مجاهد : البر ما كان من المدن والقرى على غير نهر ، والبحر ما كان على شط نهر . والأول أولى . ويكون معنى البر مدن البر ، ومعنى البحر مدن البحر ، وما يتصل بالمدن من مزارعها ومراعيها ، و(الباء) في ﴿ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ للسببية ، و(ما إما) موصولة أو مصدرية ﴿ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾ (اللام) متعلقة و(بظهر) ، وهي لام العلة : أي ليذيقهم عقاب بعض عملهم أو جزاء عملهم ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ عما هم فيه من المعاصي ويتوبون إلى الله تعالى .

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

لما بيّن سبحانه ظهور الفساد بما كسبت أيدي المشركين والعصاة بيّن لهم ضلال أمثالهم من أهل الزمن الأول ، وأمرهم بأن يسيروا لينظروا آثارهم ويشاهدوا كيف كانت عاقبتهم ، فإن منازلهم خاوية وأراضيهم مقفرة موحشة كعاد وثمود ونحوهم من طوائف الكفار ، وجملة ﴿ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ مستأنفة لبيان الحالة التي كانوا عليها ، وإيضاح السبب الذي صارت عاقبتهم به إلى ما صارت إليه .

الاستقامة في الطاعة:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ ﴾ : فوجّه وجهك يا محمد نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك أي : أقم قصدك ، واجعل جهتك إتباع الدين القيم ـ يعني الإسلام ـ واشتغل بما أنت فيه ولا تحزن عليهم . وكأن المعنى إذا ظهر الفساد بالسبب المتقدم فأقم وجهك يا محمد . . .

﴿ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾ لطاعة ربك ، والملة المستقيمة التي لا اعوجاج فيها عن الحق .

﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ من قبل مجيء يوم القيامة الذي لا مرد له و لا يقدر أحد على رده ، والمرد مصدر رد ، وقيل المعنى : أوضح الحق وبالغ في الأعذار لأن الله تعالى قد

قضى بمجيئه فهو لا محالة جاء .

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ يوم يجيء ذلك اليوم يصدع الناس والأصل يتصدعون ، ويقال : تصدع القوم إذا تفرقوا ، ومنه اشتق الصداع ، لأنه يفرق شعب الرأس ، نحو قوله تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾[1] . فريق في الجنة يصيرون إلى الجنة ، وفريق في السعير يصيرون إلى النار ، فلا يُرى أحد من هؤلاء بعد ذلك أبداً لأن هؤلاء في عليين وهؤلاء في أسفل سافلين .

الجزاء من جنس العمل:

﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : من كفر بالله تعالى فعليه أوزار كفره ، وآثام جحوده نِعَمَ ربه ، ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ ومن أطاع الله تعالى ، فعمل بما أمره به في الدنيا ، وانتهى عما نهاه عنه فيها ﴿ فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ أي فلأنفسهم يستعدون ، ويسوون المضجع ليسلموا من عقاب ربهم ، وينجوا من عذابه ، كما قال الشاعر :

أمهد لنفسك حان السقم والتلف ولا تضيعن نفساً ما لها خلف

والمعنى يوطئون لأنفسهم في الآخرة فراشاً ومسكناً وقراراً بالعمل الصالح ، ومنه : مهد الصبي . والمهاد الفراش ، وقد مهدت الفراش مهداً : بسطته ووطأته . وتمهيد الأمور : تسويتها وإصلاحها . وتمهيد العذر : بسطه وقبوله . والتمهد : التمكن . وعن مجاهد ﴿ فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ قال : في القبر .

ثم بيّن الله تعالى علّة تفرقهم فقال : ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ أي انهم يتفرقون ليجازي المؤمنين بالحسنى منفضله فيكافئ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف

---

١ – سورة الروم : ١٤ .

إلى ما شاء الله من المنح والعطايا . وذكر جزاء الكافرين بما يدل عليه قوله ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي إنه يبغضهم وذلك يستدعي عقابهم ولايخفى ما من ذلك من تهديد ووعيد .

هداية الآيات:

١ – بيان وجوب إعطاء ذوي القربى حقوقهم .

٢ – خير الصدقة ماكان على القريب .

٣ – أولى الناس بالصدقة من خصهم الله تعالى بها .

٤ – التماس الأجر من الله تعالى بالصدقة .

٥ – كثرة الذنوب سبب في إفساد الحياة على الناس .

٦ – من الفطن اللجوء إلى الله تعالى عند وقوع الفتن .

القيم المستفادة:

١ – الإنفاق في سبيل الله تعالى .

٢ – العمل للآخرة .

٣ – حب الإسلام .

التقويم

السؤال الأول:

١ – اربط بين هذه الآيات وبين سابقتها .

• .....

٢ – لمن الخطاب في قوله تعالى ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾؟

• .....

٣ – لم قدّم السياق القرآني الإحسان إلى القرابة على غيرهم؟

• .....

السؤال الثاني:

١ – ما المراد بالإحسان في الآيات؟

• .....

٢ – ما حكم من أهدى هدية يرجو بها الزيادة؟ وهل له عليها أجر؟

• .....

٣ – أي الصدقات يُضاعَفُ الأجر عليها؟

• .....

٤ – ما نوع الاستفهام في قوله ﴿ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ ﴾؟

• .....

٥ – وضّح السبب الرئيسي في ظهور الفساد في العالم؟

• .....

٦ – ماذا يقصد بالفساد الذي ظهر – وضّح ما تقول؟

• .....

الدرس السادس

بعض الآيات الكونية

سورة الروم الآيات من (٤٦-٥٣)

كما أن الله ـ ﷻ ـ له آيات قرآنية فكذلك له سبحانه آيات كونية تشهد وتنطق بالحق أن الله على كل شيء قدير ، فإليك نمطاً من هذه الآيات الكونية لنعلم مدى قدرة الله ـ ﷻ ـ في كونه لعلنا بهذا نهتدي مع الذين اهتدوا وازدادوا إيماناً وهدى مع إيمانهم وهداهم .

النص

قال تعالى:

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
يُرْسِلَ الرِّيَاحَ	يبعث الرياح .
مُبَشِّرَاتٍ	تبشر بالمطر .
الْفُلْكُ	المراكب والبواخر .
وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ	لتطلبوا الرزق من فضل الله تعالى .
بِالْبَيِّنَاتِ	بالحجج والبراهين الواضحة .
فَتُثِيرُ	تحرك وتهيج .
كِسَفًا	قطعاً متفرقة .
الْوَدْقَ	المطر .
لَمُبْلِسِينَ	قانطين آيسين .

الشرح الإجمالي للآيات:

من آيات الله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ﴾ أي ومن أعلام كمال قدرته ، أن يذكر تعالى نعمه على خلقه في إرسال الرياح مبشرات بين يدي رحمته بمجيء الغيث عقبها ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ أي المطر و الغيث الذي ينزله فيحيي به العباد والبلاد ، ﴿ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ أي في البحر ، وإنما سيرها بالريح ، وقد زاد ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ لأن الرياح قد تهب ولا تكون مواتية ، فلا بد من إرساء السفن والاحتيال بحبسها ، وربما عصفت فأغرقتها بأمره .

﴿ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي في التجارة والمعايش والسير من إقليم إلى إقليم ، وقطر إلى قطر ، ثم تشكرون الله تعالى بالتوحيد والطاعة على ما أنعم به عليكم من النعم الظاهرة والباطنة التي لا تعد ولا تحصى .

نصر المؤمنين:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره مسلياً نبيه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فيما يلقى من قومه من الأذى بما لقي من قبله مَن الرسل من قومهم ، ومعلمه سنته فيهم وفي قومهم ، وأنه سالك به وبقومه سنته فيهم ، وفي أممهم : ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك رسلاً إلى قومهم الكفرة ، كما أرسلناك إلى قومك العابدي الأوثان .

﴿ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ يعني : بالواضحات من الحجج على صدقهم وأنهم لله رسل كما جئت أنت قومك بالبينات فكذبوهم كما كذبك قومك ، وردوا عليهم ما جاءوهم به من عند الله ، كما ردوا عليك ما جئتهم به من عند ربك ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ﴾ يقول : فانتقمنا من الذين أجرموا الآثام ، واكتسبوا السيئات من قومهم ، ونحن ذلك كذلك بمجرمي قومك .

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ونجينا الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله ، إذ جاءهم بأسنا ، وكذلك نفعل بك وبمن آمن بك من قومك ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ على الكافرين ، ونحن ناصروك ومن آمن بك على من كفر بك ، ومظفروك بهم ، وهذا النصر أمر أوجبه الله ـ ﷻ ـ على نفسه لعباده ، كقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[1] وفي هذا المعنى سيق حديث «من ذب عن عرض أخيه رد الله عنه عذاب النار يوم القيامة ، وتلا رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾»[2] .

١- سورة الأنعام : ٥٤

٢- حديث حسن رواه أحمد في كتاب الوبيخ - تحفه الأحوذي شرح سنن الترمذي بكتاب البر والصلة - رد عن عرض أخيه

آثار رحمة الله ـ ﷻ :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

يبيّن تعالى كيف يخلق السحاب الذي ينزل منه الماء ، فقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ إما من البحر كما ذكره غير واحد ، أو مما يشاء الله ـ ﷻ ـ .

﴿ فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ أي يمده فيكثره وينميه ، ويجعل من القليل كثيراً ، ينشىء سحابة كبيرة تملأ العين ، ثم يبسطها حتى تملأ أرجاء الأفق ، وتارة يأتي السحاب من نحو البحر ثقالاً مملوءة ، كما قال تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾[1]

فينزل هنالك المطر فتحيا الأرض بعد موتها وهكذا يحيي الله ـ ﷻ ـ الموتى ويبعثهم من قبورهم ، وهذا مثل ملموس ومحسوس في كل وقت ﴿ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا ﴾ أي قطعاً وقيل متراكماً أي بعضه على بعض وتكاد تراه ثقيلاً متجهاً نحو الأرض قريباً منها .

وقوله تعالى : ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ أي فترى المطر وهو القطر ، يخرج من بين ذلك السحاب ﴿ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ أي إليه يفرحون لحاجتهم بنزوله عليهم ووصوله إليهم . وقوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ معنى ذلك أن هؤلاء القوم الذين أصابهم هذا المطر ، كانوا يائسين فاقدين الأمل في نزول المطر إليهم قبل ذلك ، فلما جاءهم على فترة وهم في أشد الحاجة إليه ، وقد كانت أرضهم مقشعرة هامدة وقد اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ولهذا قال تعالى :

---

١ – سورة الأعراف : (٥٧)

﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ ﴾ يعني المطر فهو أثر من آثار رحمة الله تعالى فلينظر الإنسان إلى ربه ﴿ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ ﴾ فإنه بذلك ينبه على إحياء الأجساد بعد موتها وتفرقها وتمزقها فقال تعالى :

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ ﴾ أي إن الذي فعل ذلك لقادر على إحياء الأموات . وهذا دليل قطعي على قدرة الله ـ ﷻ ـ ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ٥١ ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا ﴾ يابسة على الزرع الذي زرعوه ونبت وشب واستوى على سوقه ، فرأوه مصفراً ، أي قد أصفر وشرع في الفساد لظلوا من بعده ، أي بعد هذا الحال ، يكفرون ، أي يجحدون ما تقدم إليهم من النعم وهذا غالباً يكون حال غير المؤمنين أنهم إذا أعطوا شكروا وإذا منعوا كفروا . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع ، حدثنا هشيم عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبدالله بن عمرو قال : الرياح ثمانية : أربعة منها رحمة ، وأربعة عذاب ، فأما الرحمة : فالناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات ، وأما العذاب : فالعقيم والصرصر وهما في البر ، والعاصف والقاصف وهما في البحر .

فإذا شاء ـ ﷻ ـ حركه بحركة الرحمة فجعله رخاء ورحمة وبشرى – بين يدي رحمته ولاقحاً للسحاب تلقحه بحمله الماء ، وإن شاء حركه بحركة العذاب فجعله عقيماً وأودعه عذاباً أليماً وجعله نقمة على من يشاء من عباده فيجعله صرصراً وعاتياً ومفسداً لما يمر عليه .

والرياح مختلفة في مهابها : جنوباً وشمالاً ، وفي منفعتها وتأثيرها أعظم اختلاف ، فريح لينة رطبة تغذي النبات وأبدان الحيوان ، وأخرى تجففه ، وأخرى تهلكه وتعطبه ، وأخرى تسيره وتصلبه وأخرى توهنه وتضعفه فسبحان الله تعالى .

أثر الإيمان:

﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : ﴿ فَإِنَّكَ ﴾ يا محمد ﴿ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ كما أنه ليس في قدرتك أن تسمع الأموات في أجداثها ، ولا تجعل لهم أسماعاً يفهمون بها عنك ما تقول لهم ولا تبلغ كلامك الصم الذين لا يسمعون وهم مع ذلك مدبرون عنك ،وإنما هذا مثل معناه : فإنك كما لا تقدر أن تُفهِم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم ، فحرمهم فهم ما يتلى عليهم من مواعظ تنزيله ، كذلك لا تقدر على هداية العميان عن الحق وردهم عن ضلالتهم بل ذلك إلى الله ـ ﷻ ، فإنه تعالى بقدرته يسمع الأموات أصوات الأحياء إذا شاء ، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء وليس ذلك لأحد سواه ، ولهذا قال تعالى :

﴿ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ أي خاضعون مستجيبون مطيعون ، فأولئك هم الذين يسمعون الحق ويتبعونه وهذا حال المؤمنين ، والأول مثل الكافرين ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1] .

وهنالك فائدة عظيمة وهي أن الموتى يسمعون الأحياء إذا أراد الله تعالى ذلك ، وقد استدل أهل العلم برواية عبدالله ابن عمر أن الأموات يسمعون كلام الأحياء لما ورد فيها من رواية بن عبدالبر عن عبدالله بن عباس مرفوعاً قال : «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام»[2] .

١- سورة الأنعام : (٣٦)

٢ - إسناده صحيح . المحدث عبدالحق الاشبيلي - المصدر الأحكام الصغرى - صفحة ٣٤٥

هداية الآيات:

١ – نعم الله ـ ﷻ ـ على خلقه كثيرة .

٢ – تسلية الرسول ـ ﷺ ـ .

٣ – تهديد المشركين .

٤ – أوجب الله ـ ﷻ ـ على نفسه نصر المؤمنين .

٥ – بيان قدرة الله ـ ﷻ ـ على إحياء الموتى .

٦ – ضرب الأمثال في القرآن الكريم لتقريب الصورة للأذهان .

٧ – المطر من آثار رحمة الله تعالى .

٨ – المؤمن شاكر في الرخاء صابر في الضراء .

القيم المستفادة:

١ – الشكر .

٢ – الثقة .

٣ – حب الخير .

التقويم

السؤال الأول:

١ – اشرح قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ﴾ .

• .....

٢ – ما المراد بقوله تعالى : ﴿ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾؟

• .....

٣ – استخرج من الآيات حقاً أوجبه الله تعالى على نفسه .

• .....

٤ – ما فائدة المثل في القرآن الكريم؟

• .....

السؤال الثاني:

علل ما يأتي:

١ – المطر من آثار رحمة الله تعالى

• .....

السؤال الثالث:

املأ الفراغات الآتية:

الريح ثمانية أربعة منها .....وأربعة منها .....

فأما الرحمة .....فهي .....و .....و .....

الدرس السابع

هذا خلق الله ـ ﷻ ـ

سورة الروم الآيات من (٥٤-٦٠)

يبيّن الله تعالى في هذه الآيات الأطوار التي يمر بها الإنسان منذ أن كان في رحم أمه إلى أن يصل إلى نهاية حياته ، حتى يعتبر بذلك وينظر في نفسه ليتبيّن مدى قدرة الله تعالى على إيجاده لهذا المثال الرائع من الخلق ، فلعله يؤمن ويترقى في إيمانه لكنه للأسف حاد عن المنهج وسلك غير سبيل المؤمنين ، وهذه الآيات توضح لنا أحوال المؤمن من الكافر .

النص

قال تعالى:

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
ضَعْفٍ	الضعف خلف القوة (ضعيف مهين وهو النطفة)
وَشَيْبَةً	أي قد شاب رأسه وانحنى ظهره وبلغ من العمر أرذله .
لَبِثُوا	عاشوا في الدنيا .
يُؤْفَكُونَ	يكذبون ويصرفون عن الحق ،
يَوْمِ الْبَعْثِ	يوم القيامة وهو يوم يحي الله فيه الموتى ويبعثهم من قبورهم .
يُسْتَعْتَبُونَ	(يقدمون الأعذار) .
مُبْطِلُونَ	أي جاحدون للحق غير قابلين له .
يَطْبَعُ	يختم فيصبح الكفر كما لو كان طبيعة متأصلة فيه .
وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ	ولايستفزنك .
لَايُوقِنُونَ	لايصدقون ولا يحسنون الاعتقاد في الله تعالى .

الشرح الإجمالي للآيات:

أطوار الخلق:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾

ينبه الله تعالى على تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالاً بعد حال ، فأصله من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ، ثم يصير عظاماً ، ثم تكسى العظام لحماً ، وينفخ فيه الروح ، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفاً نحيفاً واهن القوى ، ثم يشب قليلاً قليلاً حتى يكون صغيراً ، ثم حدثاً

ثم مراهقاً شاباً .

وهو القوة بعد الضعف ، ثم يشرع في النقص فيكتهل ثم يشيخ ثم يهرم ، وهو الضعف بعد القوة ، فتضعف الهمة والحركة والبطش ، وتشيب الرأس بجوانبها ، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ ﴾ أي يفعل ما يشاء ويتصرف في عبيده بما يريد ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ بتدبير خلقه ﴿ ٱلۡقَدِيرُ ﴾ على ما يشاء ، لا يمتنع عليه شيء أراده ، فكما فعل هذه الأشياء ، فكذلك يميت خلقه ويحييهم إذا شاء فاعلموا أن الذي فعل هذه الأفعال بقدرته يحيي الموتى إذا شاء .

جهل الكفار:

﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ٥٥ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٥٦ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٥٧ ﴾

يخبر الله تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا فعلوا ما فعلوا من عبادة الأوثان ، وفي الآخرة يكون منهم جهل عظيم أيضاً ، فمنه إقسامهم بالله ـ ﷻ ـ أنهم ما لبثوا غير ساعة واحدة في الدنيا ، ومقصودهم بذلك عدم قيام الحجة عليهم وأنهم لم ينظروا حتى يُعذر إليهم . فقال الله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ﴾ أي كما كانوا يكذبون في الدنيا كذلك يكذبون في الآخرة .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾

وحتى لا تثبت لهم حجة على الله في هذا اليوم يواجههم أهل العلم من المؤمنين بما يقرعهم ويوبخهم ويظهر كذبهم في الآخرة قائلين لهم ـ كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا فلا تبقى لهم في الآخرة حجة أيضاً ـ لقد لبثم في كتاب الله إلى يوم البعث وهذا هو اليوم الذي طالما

أنكرتموه فأنتم اليوم ترونه بأعينكم وتلمسونه بأحاسيسكم .

﴿ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ولكنكم كنتم لا تعلمون في الدنيا أنه يكون ، وأنكم مبعوثون من بعد الموت ، فعلام تكذبون وقد انكشفت الأمور بين يدي العليم الخبير .

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ فيوم يبعثون من قبورهم لا تقبل المعاذير بل كل نفس بما كسبت رهينة ولا تنفعهم حينئذٍ الأعـذار ﴿ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ يعني المكذبين بالبعث في الدنيا معذرتهم ، وهو قولهم :ما علمنا أنه يكون ، ولا أنَّا نُبعث . ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ أي ولا هم يرجعون إلى الدنيا ولا يسترجعون يومئذ عما كانوا يكذبون به في الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾[1] .

بيان الحق:

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

أي قد بيّنا لهم الحق ، ووضحناه لهم ، وضربنا لهم فيه الأمثال ليستبينوا الحق ويتبعوه ﴿ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ أي لو رأوا أي آية كانت ، سواء كانت باقتراحهم أو غيره ، لايؤمنون بها ويعتقدون أنها سحر وباطل ، كما قالوا في انشقاق القمر ونحوه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾[2] ولهـذا قـال هـاهنـا ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ

١- سورة فصلت : (٢٤)

٢ - سورة يونس : ٩٦ - ٩٧ .

﴿ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ كذلك يختم الله تعالى على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به يا محمد من عند الله ـ ﷻ ـ من هذه العبر والعظات ، والآيات البينات ، فلا يفقهون عن الله حجة ، ولا يفهمون عنه ما يتلو عليهم من آي كتابه ، فهم لذلك في طغيانهم يترددون .

﴿ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ ﴾ أي اصبر على مخالفتهم وعنادهم ، فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصره إياك عليهم وجعله العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة .

﴿ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ أي : ولا يستفزن حلمك ورأيك هؤلاء المشركون بالله الذين لا يوقنون بالمعاد ولا يصدقون بالبعث بعد الممات ، فيثبطوك عن أمر الله والنفوذ لما كلفك من تبليغهم رسالته بل اثبتُ على ما بعثك الله تعالى به ، فإنه الحق الذي لا مرية فيه ، ولا تعدل عنه وليس فيما سواه هدى يتبع ، بل هو الحق كله .

قال سعيد عن قتادة : «نادى رجل من الخوارج علياً ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وهو في صلاة الغداة ، فقال : ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[1] فأنصت له علي حتى فهم ما قال ، فأجابه وهو في الصلاة ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ أي لايستفزونك لتكون بك رعونة في التصرف بل اثبت فأنت على الحق ولا تتبع استفزاز هؤلاء الذين لايقين عندهم في ربهم»[2] .

---

١ - سورة الزمر : (٦٥)

٢ - رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

هداية الآيات:

١ – الإنسان يمر بأطوار في خلقه حتى مماته .

٢ – يكذب المجرمون في الآخرة كما كانوا يكذبون في الدنيا .

٣ – لا تقوم للمجرمين حجة على الله ـ ﷻ ـ في الآخرة .

٤ – لا تنفع المعاذير في الآخرة .

٥ – بيان ضرب المثل في القرآن الكريم وفوائده .

٦ – إذا ختم الله ـ ﷻ ـ على قلب إنسان بالكفر فلا أمل للإيمان فيه .

٧ – بيان أن الشرك محبط للأعمال .

القيم المستفادة:

١ – توحيد الربوبية .

٢ – الإيمان .

٣ – الصبر .

التقويم

السؤال الأول:

أجب عن الأسئلة الآتية:

١ – اكتب الأطوار التي يمر بها الإنسان في حياته حتى مماته .

• .....

٢ – ما أصل الإنسان وإلى أي فصيلة ينتمي؟

• .....

٣ – ما الذي يدل على جهل المشركين في الآخرة؟ وما مقصودهم من قسمهم أنهم ما لبثوا غير ساعة؟

• .....

السؤال الثاني:

استخرج من الآيات مايؤكد المعاني الآتية :

١ – بدأ الإنسان ضعيفاً وينتهي ضعيفاً :

• .....

٢ – يتواجه أهل العلم بالمجرمين في الآخرة ليقيموا عليهم الحجة أيضاً كما أقاموها عليهم في الدنيا :

• .....

٣ – ينصح الله ـ ﷻ ـ نبيه ـ ﷺ ـ ألا يستفزه قومه ولا يخرجونه عن الثبات والهدوء :

• .....

السؤال الثالث:

اختر الجواب الصحيح مما بين القوسين فيما يأتي:

١ – الذين خلقهم الله ـ ﷻ ـ وجعل أصلهم من تراب هم :

(جميع الناس ـ آدم ـ حواء وآدم عليهما السلام) .

• .....

٢ – من أنواع الشرك الأصغر :

(عبادة الأوثان – أكل الربا – الرياء) .

• .....

٣ – دعوة الله ـ ﷻ ـ نبيه ـ ﷺ ـ أن يصبر معناها :

(أن يترك قومه فلا يدعوهم ـ يخاف منهم ويتراجع ـ يدعوهم ويتحمل الأذى في سبيل الله) .

• .....

مقدمة من سورة لقمان

بَين يَدَي السُّورَة

هذه السورة الكريمة «سورة لقمان» من السور المكية ، التي تعالج موضوع العقيدة ، وتعنى بالتركيز على الأصول الثلاثة لعقيدة الإيمان وهي «الوحدانية ، والنبوة ، والبعث والنشور» ، كما هو الشأن في السور المكية .

ابتدأت السورة الكريمة بذكر الكتاب الحكيم ، معجزة النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ الخالدة ، الباقية الدائمة على مدى الزمان ، التي أقامت الحجج والبراهين على وحدانية ربّ العالمين ، وذكرت دلائل القدرة الباهرة والإبداع العجيب في هذا الكون الفسيح المحكم النظام المتناسق في التكوين ، في سمائه وأرضه ، وشمسه وقمره ، ونهاره وليله ، في جباله وبحاره ، وأمواجه وأمطاره ، ونباته وأشجاره ، وفي سائر ما يشاهده المرء من دلائل القدرة والوجدانية ، مما يأخذ بالقلب ، ويبهر العقل ، ويواجه الإنسان مواجهة جاهرة لا يملك معها إلا التسليم بقدرة الخالق العظيم .

كما لفتت أنظار المشركين إلى دلائل القدرة والوحدانية المنبثة في هذا الكون البديع ، وهزت كيانهم هزاً ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ .

وختمت السورة الكريمة بالتحذير من ذلك اليوم الرهيب الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ .

سميت سورة لقمان لاشتمالها على قصة «لقمان الحكيم» التي تضمنت فضيلة الحكمة وسرّ معرفة الله وصفاته ، وذم الشرك ، والأمر بمكارم الأخلاق ، والنهي عن القبائح والمنكرات وما تضمنته كذلك من الوصايا الثمينة التي أنطقه الله بها ، وكان من الحكمة والرشاد بمكان !

الدرس الثامن

حال السعداء وحال الأشقياء

سورة لقمان الآيات من (١-١١)

سورة لقمان من السور المكية ، التي افتُتِحت بالأحرف المقطعة الدالة على عظمة القرآن وتحدي الله الكافرين بالقرآن الكريم . ولا يعلم مرادها إلا الله تعالى . وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لأن الله تعالى أخبرنا في آياتها عن عبده الصالح « لقمان» الذي امتن الله تعالى عليه بالحكمة ، ولما أعطاه اللّه ـ ﷻ ـ هذه المنة العظيمة أمره أن يشكره على ما أعطاه ، ليبارك له فيه ، وليزيده من فضله ، وأخبره أن شكر الشاكرين يعود نفعه عليهم ، وأن من كفر فلم يشكر اللّه تعالى عاد وبال ذلك عليه . والله جل وعلا غني عنه .

النص

قال تعالى:

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾
وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ
عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ
حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن

تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾
هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

سبب نزول الآية:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث بن كلدة كان يتّجر فيأتي الحيرة ويشتري أخبار العجم ويحدث بها قريشًا ، ويقول : إن محمدًا يحدثكم بحديث عاد وثمود ، وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة ، فيستملِحُون حديثه ويتركون استماع القرآن ، فأنزل الله هذه الآية . وقال مجاهد : نزلت في شراء القيان والمغنيات .

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
لهو الحديث	الحديث الصاد الملهي عن الخير والعبادة .
هزواً	سخرية .
ولى مستكبراً	أعرض متكبراً عن تدبرها .
وقراً	صمماً مانعاً من السماع .
بغير عَمَدٍ	بغير دعائم تقيمها .
رواسي	جبال ثوابت .
أن تميد بكم	لئلا تضطرب بكم .

بث فيها	نشر وفرق وأظهر فيها .
زوج كريم	صنف حسن كثير المنفعة .

الشرح الإجمالي للآيات:

القرآن الكريم كتاب المهتدين:

﴿ الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ ﴾

﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه وهي سر القرآن . فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله تعالى ، قال أبو بكر الصديق ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :في كل كتاب سر وسر الله تعالى في القرآن أوائل السور . ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ ﴾ يقول جل ثناؤه : هذه آيات الكتاب الحكيم بياناً وتفصيلاً . وقوله : ﴿ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ ﴾ يقول : هذه آيات الكتاب بياناً ورحمة من الله ، رحم بها من اتبعه ، وعمل بها من خلقه ، وقوله : ﴿ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ وهم الذين أحسنوا العمل بما أنزل الله في هذا القرآن ، يقول تعالى هذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للذين أحسنوا ، فعملوا بما فيه من أمر الله ـ ﷻ ـ ونهيه .

حال السعداء:

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ ﴾

وهؤلاء المحسنين هم الذين أقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأوقاتها ، وما يتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة ، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقيها ، ووصلوا قرابتهم وأرحامهم ، وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة ، فرغبوا إلى الله في ثواب ذلك ، لم يراءوا به ولا أرادوا جزاءً من الناس ولا شكوراً .وخص من العمل ، عملين فاضلين :

١ – الصلاة المشتملة على الإخلاص ، ومناجاة اللّه تعالى ، وتعبد القلب واللسان ، والجوارح

المعينة ، على سائر الأعمال .

٢ – الزكاة التي تزكي صاحبها من الصفات الرذيلة ، وتنفع أخاه المسلم ، وتسد حاجته ، ويبيّن بها أن العبد يؤثر محبة اللّه تعالى على محبته للمال ، فيخرج محبوبه لما هو أحب إليه ، وهو طلب مرضاة اللّه تعالى .

﴿ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ يقول تعالى :يفعلون ذلك وهم لاشك عندهم بجزاء الله-ﷻ-وثوابه .و اليقين هو «بلوغ الإيمان في القلب لمرتبة العِلم والمعرفة التامة التي تُنافي الشّك والريب عنها» .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾

فـ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ هم المحسنون الجامعون بين العلم التام ، والعمل ﴿ عَلَىٰ هُدًى ﴾ أي : على بصيرة وبينة ومنهج واضح وجلي ، وذلك الهدى حاصل لهم ، وواصل إليهم ﴿ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ ﴾ الذي لم يزل يربيهم بالنعم ؛ ويدفع عنهم النقم . وهذا الهدى الذي أوصله إليهم ، من تربيته الخاصة بأوليائه ، وهو أفضل أنواع التربية . ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الذين أدركوا رضا ربهم ، وثوابه الدنيوي والأخروي ، وسلموا من سخطه وعقابه ، وذلك لسلوكهم طريق الفلاح ، الذي لا طريق له غيره .

حال الأشقياء:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ ﴾

لما ذكر تعالى حال السعداء ، وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه كما قال ـ ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٢٣ ﴾[1] ،

١ – سورة الزمر : ٢٣ .

عطف بذكر حال الأشقياء ، الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله ، وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب ، كما قال ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ قال : «هو والله الغناء» . وقال مجاهد : يعني شراء القيان والمغنيين ، فالمراد من قوله : ﴿ يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ أي : يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف بالقرآن . عن أبي أمامة «نهى رسول الله ـ ﷺ ـ عن بيع المغنيات وعن شرائهن وعن كسبهن وعن أكل أثمانهن»[1] ، ولهو الحديث يقصد بها الأحاديث الملهية للقلوب ، الصادَّة لها عن أجلِّ مطلوب . فدخل في هذا كل كلام محرم ، وكل لغو ، وباطل ، وهذيان من الأقوال المرغبة في الكفر ، والفسوق ، والعصيان ، ومن أقوال الرادين على الحق المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق ، ومن غيبة ، ونميمة ، وكذب ، وشتم ، وسب ، ومن غناء ومزامير شيطان ، التي لا نفع فيها في دين ولا دنيا . ﴿ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ أي : يفعله عن جهل فبعدما ضل بفعله ، أضل غيره من الناس ، لأن الإضلال ناشئ عن الضلال . وإضلاله في هذا المقام ؛ صده عن الحديث النافع ، والعمل النافع والحق المبين ، والصراط المستقيم . ولا يتم له هذا ، حتى يقدح في الهدى والحق ، ويتخذ آيات اللّه هزوا ويسخر بها وبمن جاء بها ، فإذا جمع بين مدح الباطل والترغيب فيه ، والقدح في الحق والاستهزاء به وبأهله ، أضل من لا علم عنده ، وخدعه بما يوحيه إليه من القول الذي لا يميزه ذلك الضال ولا يعرف حقيقته . قال قتادة : بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق . قوله تعالى : ﴿ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ ﴾ أي : يتخذ آيات الله تعالى هزوًا ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ أي : كما استهانوا بآيات الله ـ ﷻ ـ وسبيله ، أهينوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر .

﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧ ﴾

وإذا تُتلى على هذا الذي اشترى لهو الحديث للإضلال عن سبيل الله آيات كتاب الله ليؤمن بها وينقاد لها ، فقرئت عليه ﴿ وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا ﴾ أي أدبر إدبار المستكبر عنها راداً لها ، ولم تدخل

١ – رواه ابن ماجه . سنن ابن ماجد – كتاب التجارات – نهى الرسول –ﷺ– عن بيع المغنيات وعن شرائهن ص ٧٣٣ – ٢١٦٨

قلبه ولا أثرت فيه ، فأعرض عن سماع الحقّ والاستجابة له ﴿ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ كأن في أذنيه ثقلاً أو صمماً فلا تصل إليه الأصوات فلا يطيق من أجلهما سماعه ، فهذا لا حيلة في هدايته ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي فبشر هذا المعرض استكباراً عن آيات الله ـ ﷻ ـ بعذاب له من الله تعالى يوم القيامة موجع مؤلم لقلبه ولبدنه ؛ لا يدري بعظيم أمره ، وهذه بشارة أهل الشر ، وذلك عذاب النار ، فلا نِعْمَتِ البشارة .

بشارة لأهل الخير:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾

يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بالله تعالى فوحّدوه ، وصدّقوا رسوله واتبعوه ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي فأطاعوا الله ، فعملوا بما أمرهم في كتابه وعلى لسان رسوله –ﷺ– ، وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أي لهؤلاء بساتين النعيم ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ ﴾ يقول : ماكثين فيها إلى غير نهاية ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ ﴾ يقول : وعدهم الله وعداً حقاً لا شكّ فيه و لا يمكن أن يخلف ولا يغير ولا يبدل . ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ يقول : وهو الشديد في انتقامه من أهل الشرك به ، والصادّين عن سبيله ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في تدبير خلقه . فهو سبحانه كامل العزة ، كامل الحكمة ، من عزته وحكمته ، وفّق من وفّق ، وخذل من خذل ، بحسب ما اقتضاه علمه وحكمته فيهم .

آثار قدرة الله تعالى وبدائع حكمته:

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ السبع على عظمها ، وسعتها ، وكثافتها ، وارتفاعها الهائل .

﴿ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾ أي : ليس لها عمد ولو كان لها عمد لرأينا أعمدتها ، وإنما استقرت واستمسكت بقدرة اللّه تعالى . ﴿ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ ﴾ أي : جعل على ظهر الأرض ثوابت وهي هذه الجبال الضخمة العظيمة التي ثبتها في أرجاء الأرض وأنحائها ، لئلا ﴿ تَمِيدَ بِكُمۡ ﴾ أي لئلا تضطرب بكم ، ولا تتحرّك يمنة ولا يسرة ، ولكن تستقرّ بكم فلولا الجبال الراسيات لما استقرت الأرض بساكنيها . ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ ﴾ أي : و ذرأ فيها من أصناف الحيوانات مما لا يعلم عدد أشكالها وألوانها إلا الذي خلقها فهي مسخرةٌ لبني آدم ، ولمصالحهم ، ومنافعهم والدواب هي : كل ما دب على الأرض و أكل وشرب . ﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ ﴾ علم تعالى أنه لا بد لها من رزق تعيش به ، فأنزل من السماء ماءً مباركاً ، ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٖ ﴾ المنظر نافع مبارك ، فرتعت فيه الدواب المنبثة ، وسكن إليه كل حيوان .

﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾ ﴾

وقوله : ﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ ﴾ أي : هذا الذي ذكره الله تعالى وَعدَّه عليكم من خلق السماوات والأرض وما بينهما ، صادر عن فعل الله تعالى وخلقه وتقديره وحده لا شريك له في ذلك ، وهو الذي له ألوهية كل شيء وعبادة كل خلق ، ولا تصلح العبادة لغيره ولا تنبغي لشيء سواه ، ولهذا قال : ﴿ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ ﴾ أي : فأروني أيها المشركون مما تعبدون وتدعون من الأصنام والأنداد من دونه ، أي شيء خلقوا فعبدتموها من دونه؟ كما استحقّ ذلك عليكم خالقكم ، وخالق هذه الأشياء التي عددتها عليكم ﴿ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ يعني : المشركين بالله العابدين معه غيره ﴿ فِي ضَلَٰلٖ ﴾ أي : جهل وعمى ، ﴿ مُّبِينٖ ﴾ أي : واضح ظاهر لا خفاء فيه .

هداية الآيات:

١ – القرآن الكريم آياته محكمة ، صدرت من حكيم خبير .

٢ – القرآن الكريم يهدي المؤمنين إلى الصراط المستقيم ، وتحصل لهم به السعادة في الدنيا والآخرة

ويحذرهم من طرق الجحيم .

٣ – المحسنون عرفوا الله تعالى حق المعرفة فخافوا عقابه وأقاموا فرائضه وتركوا معاصيه رغبة فيما عنده من الأجر والثواب .

٤ – الشقي المحروم يشتري ما يلهيه عن ذكر الله ـ ﷻ ـ .

٥ – الشقي يصد عن الحديث النافع ، والعمل الصالح ، والحق المبين ، والصراط المستقيم .

٦ – بيان حال الكافر عند تلاوة آيات الله تعالى الدالة على عظمته وقدرته .

٧ – يبشر الله تعالى المؤمن بجنات النعيم ، نعيم القلب والروح ، والبدن .

٨ – السماوات والأرض وما بينهما من آثار حكمة الله ـ ﷻ ـ وقدرته .

٩ – الكافرون في ضلال جَلِيٍّ واضح حيث عبدوا من لا يملك نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وتركوا الإخلاص للخالق الرازق المالك لكل الأمور .

القيم المستفادة:

١ – تعظيم القرآن الكريم .

٢ – الإحسان .

٣ – تدبر حكمة الله تعالى .

التقويم

السؤال الأول:

ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

١ – سورة لقمان من السور المدنية . ( )

٢ – سميت سورة لقمان بهذا الاسم نسبة للعبد الصالح لقمان الذي ذكر في الآية . ( )

٣ – نزلت هذه الآيات في أبيّ بن خلف . ( )

٤ – الأحرف المقطعة بالقرآن لا يعلم مرادها إلا الله تعالى . ( )

السؤال الثاني:

١ – وضحت الآيات صفات المحسنين . . . اكتبها .

- .....

- .....

٢ – قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ ، فما المقصود بلهو الحديث كما يراه المفسّرون .

- .....

السؤال الثالث:

علل ما يأتي:

١ – جعل الله تعالى على ظهر الأرض ثوابت وهي الجبال .

- .....

٢ – أنزل الله تعالى من السماء ماءً

وصايا لقمان الحكيم

سورة لقمان الآيات من (١٢-١٩)

الآيات التي معنا وصايا نافعة قد حكاها الله تعالى عن لقمان الحكيم ، ليمتثلها الناس ويقتدوا بها ، و النصيحة دعامة من دعامات الإسلام . ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾[1] ، وقال ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «الدين النصيحة» . قالوا : لمن يا رسول الله؟ قال : «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[2] . وللنصيحة جملة من الآداب ، منها ما يتعلق بالناصح وهي : الإخلاص واللين ، وعدم كتمان النصيحة ، وأن تكون النصيحة في السر ، و أن يتحرى الأمانة في النصح فلا يخدع المنصوح ولا يستهين بأمره ، بل يبذل الجهد ويعمل الفكر قبل أن ينصح ، وعليه بيان ما يراه من المفاسد إن وجد في سترٍ وأمانة . أما آداب المنصوح فعليه أن يتقبل النصيحة بصدر رحب ، وأن لا يصر على الباطل ، وأن يأخذ النصيحة ، من المسلم العاقل لأنه يفيده بعقله وحكمته ، كما أن المسلم يتجنب نصح الجاهل أو الفاسق ، لأنه يضره من حيث لا يحتسب ، وعليه أخيراً شكر الناصح . ومن أولى الناس بالنصح الأبناء .

---

١ – سورة العصر : ١ – ٣ .

٢ – متفق عليه .صحيح البخاري – كتاب الإيمان – باب قول النبي –ﷺ– الدين النصيحة ص ٣١ حديث ٥٧

صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب بيان أن الدين النصيحة .

النص

قال تعالى:

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

سبب النزول:

عن سعد بن أبي وقاص قال : أنزلت فِيَّ هذه الآية ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى ﴾ قال : كنت رجلاً براً بأمي ، فلما أسلمتُ قالت : يا سعد ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتدعنّ دينك هذا أولا آكل ولا أشرب حتى أموتَ فتُعير بي فيقال : يا قاتل أمه ، قلت : لا تفعلي يا أمّاه فإني لا أدَعُ ديني هذا لشيء ، قال : فمكثتْ يومًا لا تأكل فأصبحتْ قد جهدت ، قال : فمكثتْ يومًا آخر وليلة لا تأكل ، فأصبحتْ قد اشتد جهدها ، قال : فلما رأيتُ ذلك قلتُ : تعلمين والله يا أمهْ لو كانت لك مئة نفس فخرجتْ نفسًا نفسًا ما تركتُ ديني هذا لشيء ، إن شئتِ فكلي وإن شئتِ فلا

تأكلي ، فلما رأت ذلك أكلتْ ، فأُنزلت هذه الآية : ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ ﴾[1] .

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
الحكمة	العقل والفهم والفطنة وإصابة القول .
وصينا الإنسان	أمرناه وألزمناه .
وهناً	ضعفاً ومشقةً وجهداً
فصاله	فطامه عن الرضاعة .
أناب إلي	رجع إلي بالإخلاص والطاعة .
مثقال حبة	وزن أصغر شيء .
لا تصعر خدك للناس	لا تُمِلْ وجهك عنهم كبراً وتعاظماً .
مرحاً	فرحاً وبطراً وخُيلاءً .
مختال فخور	متكبر متباه متطاول بمناقبه .
اقصد في مشيك	توسط فيه بين الإسراع والإبطاء .
اغضض	اخفض وانقص .

الشرح الإجمالي للآيات:

لقمان الحكيم:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾

١ – فتح الباري شرح صحيح البخاري – كتاب الأدب – باب الوصية بالوالدين والأمر بطاعتهما ولوكانا كافرين . ص٤١٤ .

اختلف السلف في لقمان : هل كان نبيًا ، أو عبدًا صالحاً من غير نبوة؟ على قولين ، الأكثرون على الثاني . وقد قال عنه مجاهد : «كان لقمان الحكيم عبداً حبشياً غليظ الشفتين ، مُصَفح القدمين ، قاضياً على بني إسرائيل» قال عنه محمد بن إسحاق : وهو لقمان بن ناعور بن ناحور بن تارخ ، وقد حكى عنه عبدالله بن وهب أنه وقف رجل على لقمان الحكيم فقال : أنت لقمان ، أنت عبد بني الحسحاس؟ قال : نعم . قال : أنت راعي الغنم؟ قال : نعم . قال : أنت الأسود؟ قال : أما سوادي فظاهر ، فما الذي يعجبك من أمري؟ قال : وَطءْ الناس بسَاطَك ، وغَشْيُهم بابك ، ورضاهم بقولك . قال : يا بن أخي إن أصغيتَ إلى ما أقول لك كنتَ كذلك . قال لقمان : غَضي بصري ، وكفي لساني ، وعفة طعمتي ، وحفظي فرجي ، وقولي بصدق ، ووفائي بعهدي ، وتكرِمتي ضيفي ، وحفظي جاري ، وتركي ما لا يعنيني ، فذاك الذي صيرني إلى ما ترى .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ أي : الفهم والعلم والتعبير ، ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ ﴾ أي : أمرناه أن يشكر الله ـ ﷻ على ما أتاه ومنحه ووهبه من الفضل الذي خصَّه به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه . ثم قال تعالى : ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ ﴾ أي : ومن يشكر الله تعالى على نعمه إنما يعود نفع ذلك وثوابه على الشاكرين عنده ، لأن الله تعالى يجزل له على شكره إياه الثواب ، وينقذه به من الهلكة لقوله تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ أي : ومن كفر نعمة الله تعالى عليه إلى نفسه أساء ، لأن الله تعالى معاقبه على كفرانه إياه ، والله ـ ﷻ ـ غنيّ عن شكره إياه على نعمه لا حاجة به إليه ، لأن شكره إياه لا يزيد في سلطانه ، ولا ينقص كفرانه إياه من ملكه . فالله غني عن العباد لا يتضرر بذلك ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعًا ، فإنه الغني عمن سواه ، فلا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه . ويعني بقوله : ﴿ حَمِيدٌ ﴾ محمود على كلّ حال ، له الحمد على نعمه سواء كفر العبد نعمته أو شكره عليها .

---

١ – سورة الروم : ٤٤ .

وصية لقمان:

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾

يقول تعالى مخبرًا محمد ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عن وصية لقمان لولده واسمه ثاران . وقد ذكره الله تعالى بأحسن الذكر ، فقد آتاه الحكمة وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه ، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ، ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله تعالى وحده ولا يشرك به شيئًا ، ثم قال محذرًا له : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ أي : هو أعظم الظلم .

عن عبد الله بن مسعود قال «لما نزلت ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾[1] . قلنا : يا رسول الله ، أينا لا يظلم نفسه؟ قال : «ليس كما تقولون ﴿ لَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ بشرك ، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾»[2] .

البر بالوالدين:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾

ثم قرن وصيته لابنه بوصيته إياه بعبادة الله وحده والبر بالوالدين . ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾[3] . وكثيراً ما يقرن تعالى بين ذلك في القرآن . وقال هاهنا ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ عهدنا إليه وجعلنا ذلك وصيةً عنده ، سنسأله عن القيام بها وهل حفظها أم لا؟ ﴿ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ بالإحسان إليهما بالقول اللين ، والكلام اللطيف ، والفعل الجميل ، والتواضع

---

١ – سورة الأنعام : (٨٢)

٢ – صحيح البخاري – كتاب أحاديث الأنبياء – باب لما نزلت الذين آمنوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم – صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب صدق الإيمان واخلاصه .

٣ – سورة الإسراء : ٢٣ .

لهما وإكرامهما وإجلالهما ، والقيام بمؤونتهما واجتناب الإساءة إليهما من كل وجه سواءٌ بالقول أو الفعل . ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ ضعفاً على ضعف وشدّة على شدّة ، فلا تزال تلاقي المشاق ، من حين يكون نطفة ، من الوحم ، والمرض ، والضعف ، والثقل ، وتغير الحال ، ثم وجع الولادة ، ذلك الوجع الشديد . . وقوله : ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ أي : تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين ، قال تعالى : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾[1] . وإنما يذكر تعالى تربيةَ الوالدة وتعبها ومشقتها في سهرها ليلاً ونهارًا ، ليُذكّر الولد بإحسانها المتقدم إليه ، ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[2] ، ولهذا قال تعالى : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى ۚ ﴾ بالقيام بعبوديته ، وأداء حقوقه ، وأن لا تستعين بنعمته على معصيته . ﴿ وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ بالإحسان إليهما لتربيتهما إياك ، ورعايتهما إياك حتى استحكمت قواك ﴿ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ أي : سترجع أيها الإنسان إلى من وصاك ، وكلفك بهذه الحقوق ، وهو سائلك عما كان من شكرك له على نعمه عليك ، وعما كان من شكرك لوالديك ، وبرّك بهما على ما لقيا منك من العناء والمشقة في حال طفولتك وصباك ، وما اصطنعا إليك في برّهما بك ، وتحننهما عليك . فهل قمت بتلك الحقوق؟ فيثيبك الثواب الجزيل ، أم ضيعتها؟ فيعاقبك العقاب الوبيل .

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

وقوله : ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ ﴾ أي : إن حرَصا

---

١ – سورة البقرة ٢٣٣ .

٢ – سورة الإسراء : ٢٤ .

عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما وتشرك بعبادتك لله غيره ، فلا تقبل منهما ذلك الدين ، ولا تظن أن هذا داخل في الإحسان إليهما ، لأن حق اللّه تعالى مقدم على حق كل أحد ، و «لا طاعة لمخلوق ، في معصية الخالق» ، ولا يمنعنَّك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفاً ، أي : محسنًا إليهما بالبر و الصلة والعشرة الجميلة ، والطاعة لهما فيما لا إثم فيه ولا معصية .

﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ واسلك طريق من أقبل علي بطاعتي ، وهو النبيّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأصحابه المستسلمون لربهم ، المنيبون إليه ، و قال ابن عباس : يريد أبا بكر ، وذلك أنه حين أسلم أتاه عثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبدالرحمن بن عوف ، فقالوا له : قد صدّقت هذا الرجل وآمنت به؟ قال : نعم ، هو صادق ، فآمنوا به ، ثم حملهم إلى النبيّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حتى أسلموا ، فهؤلاء لهم سابقة الإسلام . أسلموا بإرشاد أبي بكر . ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ فإن إليّ مصيركم ومعادكم بعد مماتكم ، الطائع والعاصي والمنيب ، فأخبركم بجميع ما كنتم في الدنيا تعملون من خير وشرّ ، ثم أجازيكم على أعمالكم ، المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته . فإن الله تعالى لا يخفى عليه من أعمالكم خافية .

أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك:

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾

أي : إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت وزن حبة ﴿ مِّنْ خَرْدَلٍ ﴾ التي هي من أصغر الأشياء وأحقرها .

﴿ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ﴾ أي : يحضرها الله تعالى يوم القيامة حين يضع الموازين ، ويجازي عليها إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر . ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1] ، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ

١ – سورة الأنبياء : ٤٧ .

ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[1] ، ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صَمَّاء ، أو غائبة ذاهبة في أرجاء السماوات أو الأرض ، فإن الله تعالى يأت بها لسعة علمه ، وتمام خبرته وكمال قدرته ، ولأنه لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، قال الحسن : معنى الآية هو الإحاطة بالأشياء صغيرها وكبيرها ، ولهذا قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ أي : لطيف العلم ، فلا تخفى عليه الأشياء وإن دَقت ولطفت وتضاءلت ﴿ خَبِيرٌ ﴾ بدبيب النمل في الليل البهيم ، كما اطلع على البواطن والأسرار ، وخفايا القفار والبحار .

طريق النجاة:

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾

ثم قال : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي : بحدودها وفروضها وأوقاتها ، ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ أي : بحسب طاقتك وجهدك ، وذلك يستلزم العلم بالمعروف ليأمر به والعلم بالمنكر لينهى عنه ، ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ ﴾ وذلك أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى ، فأمره بالصبر . وقوله : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ أي : إن الصبر على أذى الناس من الأمور التي يعزم عليها ويهتم بها ، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم .

أصول التعامل مع الآخرين:

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾

وقوله : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ يقول : لا تُعرِض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك ، احتقارًا منك لهم واستكبارًا عليهم ، ولكن أَلِنْ جانبك وابسط وجهك إليهم ، كما جاء

---

١ - سورة الزلزلة : ٧ - ٨ .

في الحديث : «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقى ولو أن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط ، وإياك وتسييل الأزار فإنه من الخيلاء ، والخيلاء لا يحبها الله عز وجل وإن امرؤ سبك بما يعلم فيك فلا تسبه بماتعلم فيه فإن أجره لك ، ووباله على من قاله»[1] . وأصل الصَّعَر : داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها ، حتى تُلفَتَ أعناقُها عن رؤوسها ، فشبه به الرجل المتكبر . وقوله : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ أي : لا تمش متكبرًا جبارًا عنيدًا ، فيبغضك الله ، قال ابن عمر عن رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»[2] . ولهذا قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ أي : مختال معجب في نفسه ، و هيئته وتعاظمه على غيره ، ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾[3] .

﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾

وقوله : ﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ أي : امش مشيًا مقتصداً ليس بالبطيء المتثبط ، ولا بالسريع المفرط ، بل عدلاً وسطًا بين بين .وقوله : ﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ ﴾ أي : لا تبالغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ قال مجاهد : إن أقبح الأصوات لصوت الحمير ، أي : غاية مَنْ رفع صوته أنه يُشَبه بالحمير في علوه ورفعه ، ومع هذا فهو بغيض إلى الله تعالى . و تشبيه الصوت هنا بصوت الحمير يقتضي تحريم الفعل وذمه غاية الذم ، و مثال على ذلك روى البخاري عن عبدالله بن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما ـ أن رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «ليس لنا مثل السوء ، الذي يعود في هبته ، كالكلب يرجع في قيئه» . للدالة على قبح الرجوع في الهبة .

---

١ – مسند أحمد – أول مسند البصيرين – باب لا تحقرن من ا لمعروف شيئاً .

٢ – رواه صحيح البخاري – كتاب فضائل الصحابة باب بينما أنا نائم رأيتني على قلب – ٢٠١١٠ – .

٣ – سورة الإسراء : ٣٧

هداية الآيات:

١ – لقمان الحكيم رجل صالح آتاه الله الحكمة .

٢ – أخبر الله محمداً ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عن وصية لقمان لولده ليمتثلها الناس ويقتدوا بها .

٣ – بيان أن على الوالد أن يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه .

٤ – الشرك بالله من أعظم الظلم .

٥ – قَرَنَ الله تعالى طاعته وعدم الشرك به ببر الوالدين والإحسان إليهما دلالة قاطعة على عظم الأمر .

٦ – «لا طاعة لمخلوق ، في معصية الخالق» فحق اللّه ، مقدم على حق كل أحد .

٧ – يصحب المرء والديه بالإحسان إليهما بالمعروف ، وأما اتباعهما وهما بحالة الكفر والمعاصي ، فلا .

٨ – الحث على مراقبة اللّه ، والعمل بطاعته ، مهما أمكن ، والترهيب من عمل القبيح ، قَلَّ أو كَثُرَ .

٩ – إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طريق السعادة وخير ما ينصح بها الناصح .

١٠ – إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور .

١١ – الحث على مشي التواضع والسكينة والوقار لا مَشْيَ البطر والتكبر .

١٢ – رفع الصوت فيما لا فائدة فيه بغيض إلى الله تعالى وهو أشبه بصوت الحمير .

القيم المستفادة:

١ – التوحيد .

٢ – بر الوالدين .

٣ – الإحسان إلى الخلق .

التقويم

السؤال الأول:

أكمل العبارات التالية بما يناسبها ويكمل معناها:

- من آداب النصيحة ما يتعلق بـ..... ومنها ما يتعلق بـ..... .
- للناصح آداب عليه التحلي بها منها ..... و..... وعلى المنصوح كذلك أن يتأدب بـ..... و..... .

السؤال الثاني:

أجب عن الآتي:

- ما سبب نـزول قوله تعالى : ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ ﴾ .

. .....

اختلف السلف في لقمان عليه السلام . . . اكتب أقوالهم .

. .....

السؤال الثالث:

اكتب الآيات الدالة على المعاني التالية:

- الله تعالى غني عن عباده لا يتضرر بكفرهم ولا يزيد ملكه بشكرهم .

. .....

- أن أصر الوالدان على متابعتهما في دينهما والشرك بالله فلا يقبل منهما .

. .....

الدرس العاشر

فوائد التدبر والتأمل

سورة لقمان الآيات من (٢٠-٢٤)

إن أهل البصيرة وأهل المعرفة وأهل الإيمان الصحيح كلما وقع نظر أحدهم على صغير أو كبيرفي آيات الله تعالى وفي مخلوقاته العظيمة اعتبر بذلك وجعله آية ودلالة على عظمة الخالق ، وأعظم شيء يتأمل فيه الإنسان هذا الوجود يتفكر فيه ويعرف عظمته ، بل أقرب شيء إلى الإنسان نفسه ، خلْق الإنسان فهو أعجب شيء وأقرب شيء إليه كما قال تعالى ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[1] ، ولكن القلة هم الذين يتفكرون ويعتبرون . وقد تكلم العلماء على عجائب خلق الله تعالى وأبرزوا ما فيها من الدلالات . فبتأمل هذه الآيات في خلق الإنسان يجد العجب العجاب ، ويعرف ما في خلق الله تعالى من الآيات والدلالات على كمال قدرته وعظمته ، وأن الذين عبدوا غيره ، أو عصوه ، أو جحدوه ما فكروا في هذا الوجود ، ولا أعملوا عقولهم ، ولا تفكروا في آيات الله ، ولا نظروا في ما أُمروا بأن ينظروا إليه ، فلذلك تلاعب بهم الشيطان ، وصدهم عن الآيات ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٧ ﴾[2] .

١ – سورة الذاريات : ٢١ .

٢ – سورة الأعراف : ١٨٧ .

النص

قال تعالى:

أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
سخر لكم	والسُّخْرَةُ : ما تسَخَّرْتَ من دابَّة أو خادم بلا أجر ولا ثمن . وسَخَرْتُه بمعنى قَهَرْتُه وذللته .
أسبغ	أتم وأوسع وأكمل .
يسلم وجهه	يفوض أمره كله .
استمسك	تمسك وتعلق واعتصم .
بالعروة الوثقى	بالعهد الأوثق الذي لا نقض فيه .
عذاب غليظ	شديد ثقيل .

الشرح الإجمالي للآيات:

آثار رحمة الله ـ ﷻ ـ :

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

يمن الله تعالى على عباده بنعمه ، ويدعوهم إلى شكرها ورؤيتها وعدم الغفلة عنها ، فقال : منبهاً لهم ﴿ أَلَمْ تَرَوْا ﴾ أي :تشاهدوا وتبصروا بأبصاركم وقلوبكم بأنه سخر لكم ما في السماوات من نجوم تستضيئون بها في ليلكم ونهاركم ، وما خلق فيها من الشمس والقمر السحاب والأمطار والثلج والبرد ، وجعلها لكم سقفاً محفوظاً ، وما خلق لكم في الأرض من أنهار وأشجار وزروع وثمار . وأسبغ عليكم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإنزال الكتب ، وإزاحة الشبَه والعلل ، ثم مع توالي هذه النعم يكفرون بالله . . . ! بل منهم من يجادل في الله ، أي : في توحيده وإرسال الرسل . ومجادلته في ذلك بغير علم ولا بصيرة ، ولا مستند من حجة صحيحة ، ولا كتاب مأثور صحيح ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أي : يجادل عن الباطل ليدحض به الحق ؛ ويدفع به ما جاء به الرسول من الأمر بعبادة اللّه وحده ، وهذا المجادل على غير بصيرة ليس جداله عن علم ، ﴿ وَلَا هُدًى ﴾ فلا يقتدي بجداله المهتدين ﴿ وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ ولا يملك كتاباً مبيناً للحق ، وإنما جداله في اللّه مبني على تقليد آباء غير مهتدين بل ضالين مضلين .

الجدال:

لقد صرح القرآن الكريم بأن الإنسان بطبعه مجادل برغم وجود الحجج والبراهين الدامغة والآيات الساطعة والأمثلة المتعددة : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾[1] . و الجدال في اللغة : هو وضع الشيء على الشيء إذا كان من جنسه ، فتقول جدلت الحبل أي وضعت بعضه على بعض حتى صار مجدولاً . والمراد منه

١ – سورة الكهف : ٥٤ .

«مراجعة القول بإعلاء بعضه على بعض على سبيل الغلبة» ، وبعبارة أخرى«وهو تبادل الحجج والبراهين في أسلوب حوار على سبيل تفنيد أحدهم قول وحجج الآخر وتثبيت قوله» .

ومن الجدال ما هو مذموم ومنه ما هو محمود . أما المحمود فهو ما تعلق بإظهار الحق والدلالة عليه والدعوة إليه ، وهذا الذي أمر الله تعالى به نبيه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾[1] . أما النوع الآخر من الجدال فهو الجدال بالباطل ، وهو أنواع :

١ – الجدال لطمس نور الحق وشغل أهل الحق عنه وهذا ما أشارت إليه الآية السابقة ، وقد أخبر الله عن هذا الصنف من الناس بقوله : ﴿ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ ﴾[2] .

٢ – الجدال لإظهار المزية والتقليل من شأن الآخرين : وهذه آفة عظيمة قلَّ من يسلم منها ، والدافع إلى هذا النوع من الجدال شعور الشخص بتميزه ورجاحة عقله ومحاولة تسفيه آراء الآخرين ، وهو من علامات الضلال ، فقد قال الرسول ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «ما ضل قوم بعد هدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» .ثم تلا قوله تعالى : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[3]»[4] . ولأن النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يعلم أن ترك هذا النوع من الجدال شاق على النفوس التي اعتادته فقد بشر من تركه بهذه البشارة العظيمة : «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا»[5] .

٣ – الجدال يفوت على الناس الخير : إن هذا النوع من الجدل يضيع على الناس الخير . فعن عبادة بن الصامت ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال : خرج النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ليخبرنا بليلة

---

١ – سورة النحل : ١٢٥ .
٢ – سورة غافر : ٥ .
٣ – سورة الزخرف : ٥٨ .
٤ – رواه ابن ماجه وحسنه الألباني .
٥ – سن ابن ماجه – كتاب المقدمة – باب ماضل قوم بعد هدى ، (سنن ابن ماجه بشرح السندي – كتاب المقدمة – باب ورخص في الكذب في ثلاث .

القدر ، فتلاحى (تخاصم وتنازع وتشاتم) رجلان من المسلمين فقال : «خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيرًا ، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»[1] . ولأن الجدال يفوت على الناس الخير ويفسد عليهم الطاعات نهى الله عنه : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ ﴾[2] .

٤ – الجدال لاغتصاب حقوق الناس : وهذا من أقبح صور الجدال والمراء وهو انتزاع حقوق الناس واغتصابها . قال ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ محذراً من هذا ومتوعداً أهله : «إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلي ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضي له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار»[3] . ولأن الجدال بالباطل أو بغير دليل يؤدي إلى كل المفاسد التي سبق الحديث عنها فقد رأينا الصالحين ينهون عنه وينصحون باجتنابه ، ومن الآثار الواردة عنهم قول الشافعي رحمه الله المراء في الدين يقسّي القلب ويورث الضغائن .

الدعوة إلى الله:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ﴾ أي : وإذا قيل لهؤلاء الذين يجادلون في توحيد الله تعالى جهلاً منهم بعظمته ـ ﷻ ـ ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ أي : اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله عليه الصلاة والسلام من الشرائع المطهرة وصدِّقوا به ، فإنه يفرق بين الحقّ منا والمبطل ، ويفصل بين الضّالّ والمهتدي ، ﴿ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ أي : لم يكن لهم حجة إلا اتباع الآباء الأقدمين فقالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من الأديان فإنهم كانوا أهل حقّ ، قال الله تعالى :

---

١ – رواه البخاري – صحيح البخاري – كتاب الإيمان – سباب المسلم فسوق وقتاله كفر (٤٩) .
٢ – سورة البقرة : ١٩٧ .
٣ – موطأ مالك – كتاب الأقضية – إنما أنا بشر ص٥٤٦ .

﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[1] ، أي : فما ظنكم أيها المحتجون بصنيع آبائهم أنهم كانوا على ضلالة وأنتم خلف لهم فيما كانوا فيه ، ولهذا قال : ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ ﴾ بتزيينه لهم سوء أعمالهم ، واتباعهم إياه على ضلالتهم ، وكفرهم بالله تعالى ، وتركهم اتباع ما أنزل الله تعالى من كتابه على نبيه ﴿ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ يعني : عذاب النار التي تتسعر وتلتهب .

الإسلام:

﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾

يقول تعالى مخبرًا عمن أسلم وجهه لله تعالى ، أي :خضع لله ـ ﷻ ـ و أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه ، ولهذا قال : ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ أي : في عمله ، بإتباع ما به أمر ، وترك ما نُهي عنه وزُجر ، و بأن يعبد اللّه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراك . ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ أي : من تمسك بها توثق ونجا وسلم من الهلاك وفاز بكل خير ، وقد أخذ موثقاً متينًا من الله تعالى أنه لا يعذبه ، ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ أي : رجوعها وموئلها ومنتهاها إليه ، فيحكم في عباده ، ويجازيهم بما آلت إليه أعمالهم ، ووصلت إليه عواقبهم ، فليستعدوا لذلك الأمر .

عاقبة الكفر:

﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ ﴾ أي : لا تحزن يا محمد عليهم في كفرهم بالله تعالى وبما جئت به ولا تذهب نفسك عليهم حسرة ، لأنك أديت ما عليك من الدعوة والبلاغ ، و قدر الله تعالى نافذ فيهم ، وإلى الله ـ ﷻ ـ مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة ، فينبئهم بما عملوا في الدنيا من خبائث فيجازيهم عليها ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ أي إن الله تعالى ذو علم بما تكنه صدورهم من الكفر وإيثار طاعة الشيطان ، فلا تخفى عليه خافية .

---

١ – سورة البقرة : ١٧٠ .

﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

ثم قال : ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ﴾ أي : نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا قليلاً إلى انقضاء آجالهم ، ليزداد إثمهم ، ﴿ ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ ﴾ أي : نلجئهم ﴿ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ أي : ثم نوردهم على كره منهم عذاباً غليظاً فظيعاً وذلك عذاب النار ، نعوذ بالله منها ومن عمل يقرّب منها .كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[1] .

هداية الآيات:

١ – يمتن الله تعالى على عباده بنعمه ، ويدعوهم إلى شكرها ورؤيتها ؛ وعدم الغفلة عنها .

٢ – الكافر يجادل عن الباطل على غير علم ؛ ليدحض به الحق ؛ ويدفع به ما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ من الأمر بعبادة اللّه تعالى وحده .

٣ – الإسلام هو الخضوع لله تعالى والانقياد له بفعل الشرائع مع إخلاص الدين له .

٤ – الرسول ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يحزنه كفر قومه وإصرارهم على الباطل .

٥ – نشهد أن الرسول ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف عنها الغمة .

٦ – الله ـ ﷻ ـ يمتع الكفرة في الدنيا ويمهلهم فيعذبهم في الآخرة بعذاب لا يطيقونه .

القيم المستفادة:

١ – شكر الله تعالى .

٢ – الخضوع والانقياد لله تعالى .

٣ – طاعة الرسول ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ .

---

١ – سورة يونس : ٦٩ – ٧٠ .

التقويم

السؤال الأول:

أ – اختر المكمل الصحيح للعبارات التالية بوضع خط تحتها:

١ – إن المجادل على غير بصيرة :

– يجادل عن الحق . – يدافع عما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ .

– جداله مبني على تقليد الآباء .

٢ – المحسن هو من :

– أحسن التأمل في الكون . – خضع لله تعالى وأحسن العمل .

– أنفق أمواله في الدنيا .

ب – أجب عن الآتي:

– ما أنواع الجدال؟

- ..... .

- ..... .

– للجدال بالباطل أربعة أنواع اكتب ثلاثة منها :

- ..... .

- ..... .

- ..... .

السؤال الثاني:

وضّح المراد من المفردات التي تحتها خط:

- ﴿ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾

- ﴿ ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً ﴾

- .....

- .....

- .....

السؤال الثالث:

علل ما يأتي:

- أوصى الله تعالى محمد ـ ﷺ ـ بعدم الحزن على كفر قومه .

- .....

- إمهال الله الكافرين وتمتعهم في الدنيا .

- .....

الدرس الحادي عشر

توحيد الربوبية

سورة لقمان الآيات من (٢٥-٣٠)

توحيد الربوبية هو إفراد الله ـ ﷻ ـ بأفعاله ، وذلك أن يعتقد المسلم تفرد الله ـ ﷻ ـ بالخلق ، والرزق ، والإحياء ، والإماتة ، والملك ، والتدبير ، وسائر ما يختص به من أفعال ، وقد كان هذا النوع من التوحيد واضحاً بيِّناً لدى المشركين والكفار لوضوح دلائله وجلاء آياته ، ودليله من القرآن قوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[1] ، فقد كان المشركون معترفين بهذه الحقيقة اعترافاً نطقت به ألسنتهم ، فاحتج سبحانه بهذا الاعتراف على ضلال مسلكهم في عبادتهم غيره ، وتوجههم إلى سواه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[2] ، ويبدو جلياً تضافر أدلة الكتاب مع أدلة العقل على إثبات وحدانية الله ـ ﷻ ـ في ربوبيته ، فقد جاءهم من الحجج والبراهين ما لا يستطيعون دفعه .

١ – سورة الزمر : ٣٨ .
٢ – سورة يونس : ٣١

النص

قال تعالى:

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
يمده	يزيده وينصب إليه .
سبعة أبحر	مملوءة ماء .
ما نفدت	ما فرغت وما فنيت .
كلمات الله	التامة وكلامه سبحانه أتم الكلام صدقاً وعدلاً .
يولج	يدخل .

سبب النزول:

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾

قال المفسّرون : سألت اليهودُ رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عن الروح ، فأنزل الله بمكة : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[1] فلما هاجر رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إلى المدينة أتاه أحبار اليهود فقالوا : يا محمد بلغنا عنك أنك تقول : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ فتعنينا أم قومَكْ؟ فقال : «كُلاًّ قد عَنيتُ» ، قالوا : ألست تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوارة وفيها علم كل شيء؟ فقال رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «هي في علم الله سبحانه قليل ، ولقد آتاكم الله تعالى ما إن عملتم به انتفعتم به» ، فقالوا : يا محمد كيف تزعم هذا؟ أنت تقول :﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[2] كيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير؟ فأنزل الله تعالى :﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾ .

الشرح الإجمالي للآيات:

إقامة الحجة:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

يقول تعالى مخبرًا عن هؤلاء المشركين به : إنهم يعرفون أن الله خالقُ السماوات والأرض ، وحدَه لا شريك له ، ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون أنها خَلْقٌ له وملك له ، ولهذا قال : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين

---

١ – سورة الإسراء : ٨٥ .

٢ – سورة البقرة : ٢٦٩ .

بالله من قومك عمن خلق السماوات والأرض فإذا قالوا ذلك ، فقل لهم ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ ﴾ إذاً قد قامت عليكم الحجة باعترافكم ، ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يقول : بل أكثر هؤلاء لا يعلمون من الذي له الحمد وأين موضع الشكر ، فلذلك أشركوا به غيره .

دلائل عظمة وجلال أسماء الله الحسنى:

﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾

بعد أن أظهر تعالى تناقض المشركين وعزوفهم عن الحق الظاهر لا على وجه البصيرة ، بل على وجه الحيرة والشك ، ذكر في هاتين الآيتين نموذجاً من سعة أوصافه ليدعو عباده إلى معرفته ومحبته وإخلاص الدين له . فقال : ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ أي : كلّ ما في السماوات والأرض من شيء هو ملك لله كائناً ما كان ذلك الشيء من وثن وصنم وغير ذلك ، مما يعبد أو لا يعبد هو خلقه وملكه ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ أي : الغني عما سواه وكل شيء فقير إليه ، فهو الغنيّ عن عباده هؤلاء المشركين به لأنهم ملكه وله وبهم الحاجة إليه ، فهو واسع الغنى ، لا يحتاج إلى شيء كما قال تعالى : ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾[1] ، وهو كذلك ﴿ ٱلْحَمِيدُ ﴾ أخبر تعالى عن سعة حمده وأن حمده من لوازم ذاته ، فلا يكون إلا حميداً من جميع الوجوه ، فهو حميد في ذاته وهو حميد في صفاته ، فكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل حمد وأتمه ، لكونها صفات عظمة وكمال ، وجميع ما فعله وخلقه يحمد عليه ، وجميع ما أمر به ونهى عنه يحمد عليه ، وجميع ما حكم به في العباد وبين العباد في الدنيا والآخرة يحمد عليه .

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾

١ – سورة الذاريات : ٥٧ .

يقول تعالى مخبرًا عن عظمته وكبريائه وجلاله ، وأسمائه الحسنى وصفاته العلا وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد ، ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها ، كما قالت السيدة عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ـ أن من دعاء سيد البشر وخاتم الرسل : «لا أحصي ثناءً عليك . أنت كما أثنيت على نفسك»[1] ، فقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ (أي : ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلاماً ، وجعل البحر مدادًا ومَده سبعة أبحر) فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام ، ونَفدَ ماء البحر ولو جاء أمثالها مَدَداً .

وإنما ذكرت «السبعة» على وجه المبالغة ، ولم يرد الحصر ودليل ذلك ما قاله تعالى في سورة الكهف :﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[2] ، فليس المراد بقوله : (بِمِثْلِهِ) آخر فقط ، بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله ، ثم هلم جرا ، لأنه لا حصر لآيات الله تعالى وكلماته .

وقال الحسن البصري : لو جعل شجر الأرض أقلاماً وجعل البحر مداداً ، وقال الله ـ ﷻ ـ : «إن من أمري كذا ، ومن أمري كذا» لنفد ما في البحور وتكسرت الأقلام .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي : عزيز قد عَز كلَّ شيء وقهره وغلبه ، فلا مانع لما أراد ولا مخالف ولا معقب لحكمه ، (حَكِيمٌ) في خلقه وأمره ، وأقواله وأفعاله ، وشرعه وجميع شؤونه ـ ﷻ ـ .

البعث والنشور:

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

قال تعالى : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ ﴾ وهذا شيء يحير العقول فما

١ – موطأ مالك – كتاب القرآن – باب أعوذ برضاك من سخطك .
٢ – سورة الكهف : ١٠٩ .

خَلْقُ جميع الناس - على كثرتهم - وبعثهم يوم المعاد - بعد تفرقهم - بالنسبة إلى قدرته إلا كنسبة خلق نفس واحدة ، الجميع هَيِّن عليه فلا وجه لاستبعاد البعث والنشور ، ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[1] ، وذلك أن الله ـ ﷻ ـ لا يتعذّر عليه شيء أراده ، ولا يمتنع منه شيء شاءه ﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[2] ، أي : لا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة ، فلا يحتاج ذلك الشيء إلى تكرار أو تأكيد ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ أي : إن الله تعالى سميعٌ لما يقول هؤلاء المشركون ويفترونه على ربهم من ادّعائهم له الشركاء والأنداد وغير ذلك من كلامهم وكلام غيرهم ، بصيرٌ بما يعملونه وغيرهم من الأعمال وهو مجازيهم على ذلك جزاءهم .

دلائل ربوبية الله تعالى:

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٩﴾ ﴾

يخبر تعالى أنه ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ ﴾ بمعنى : يأخذ من ساعات الليل ، فيطولُ ذلك ويقصر هذا ، وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية ، ثم يسرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار وهذا يكون في زمن الشتاء ، ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾ قيل : إلى غاية محدودة . وقيل : إلى يوم القيامة . وكلا المعنيين صحيح ، ويستشهد للقول الأول بحديث أبي ذر الغفاري ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4] : قال النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لأبي ذر حين غربت الشمس : (أتدري أين تذهب . . .؟) .

١ - سورة يس : ٨٢ .
٢ - سورة القمر : ٥٠ .
٣ - سورة النازعات : ١٣ - ١٤ .
٤ - رواه البخاري - صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق - باب صفة الشمس والقمر - ٣٠٢٧ .

قلت : الله ورسوله أعلم . . . ! قال : (فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش ، فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، يقال لها : ارجعي من حيث جئت ، فتطلع من مغربها ، فذلك قوله ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ، كقوله : ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾[2] . ومعنى هذا : أنه تعالى الخالق العالم بجميع الأشياء ، كقوله : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾[3] .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾

وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ أي : إنما يظهر الله لكم آياته لتستدلوا بها على أنه الحق ، أي : الموجود الحق ، الإله الحق ، وأن كل ما سواه باطل فإنه الغني عما سواه ، وكل شيء فقير إليه ، لأن كل ما في السماوات والأرض خلقه وعبيده ، لا يقدر أحد منهم على تحريك ذَرّة إلا بإذنه ، ولو اجتمع كل أهل الأرض على أن يخلقوا ذباباً لعجزوا عن ذلك ، ولهذا قال : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ أي العلي الذي لا أعلى منه علو قهر وقدْر وذات ، الكبير الذي هو أكبر من كل شيء ، فكل شيء خاضع حقير بالنسبة إليه .

---

١ – سورة يس : ٣٨ .
٢ – سورة الحج : ٧٠ .
٣ – سورة الطلاق : ١٢ .

هداية الآيات:

١ – يعتقد المشركون أن الله خالقُ السماوات والأرض ، وحدَه لا شريك له ، ومع هذا يعبدون معه شركاء لا تنفع ولا تضر ولا تملك .

٢ – كلّ ما في السماوات والأرض من شيء ملك لله ـ ﷻ ـ .

٣ – الله سبحانه وتعالى هو الغني عما سواه ، وكل شيء فقير إليه .

٤ – أسماء الله الحسنى وصفاته العلا لا تعد ولا تحصى ولا يحيط بها أحد .

٥ – إن خلْقَ جميع الخلق وبَعْثَهم بعد موتهم عند الله تعالى كخلقه نفساً واحدة .

٦ – تفرد الله تعالى بالتصرف والتدبير .

٧ – الليل والنهار من مظاهر ربوبية الله تعالى الدالة على ألوهيته .

٨ – الله ـ ﷻ ـ هو الإله الحق ، وكل ما سواه باطل .

القيم المستفادة:

١ – توحيد الله تعالى .

٢ – الإخلاص .

٣ – الدعاء .

التقويم

السؤال الأول:

- اكتب ما تعرفه عن توحيد الربوبية من حيث تعريفه وحكمه .

- .....

- .....

- ما سبب نزول قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ . . . ﴾؟

- .....

- .....

السؤال الثاني:

علل ما يأتي:

- كفر المشركين بالله تعالى على الرغم من أنهم يعترفون أنه خالق السموات والأرض .

- .....

- يذكر الله تعالى بالآيات نماذج من سعة أوصافه .

- .....

السؤال الثالث:

أ – ماذا تفهم من قوله تعالى ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ ؟

- .....
- .....

ب – ارجع إلى أحد كتب التفسير الموجودة في مكتبة المدرسة واستخرج تفسير الآية :

- .....
- .....

الدعاء

سورة لقمان الآيات من (٣١-٣٤)

الدعاء عبادة وقربى إلى الله تعالى ، فقد أمر الله تعالى عباده بالتوجه إليه بالدعاء لينالوا عنده منزلة رفيعة فجعله وسيلة الرجاء ، فجميع الخلق يفزعون في حوائجهم إليه ، ويعتمدون عند الحوادث والكوارث عليه . وإن الخلق قد يغفلون في أوقات الرخاء عن هذه العبادة الجليلة لكن لا ينبغي أن يغفلوا عنها في أوقات البلاء والمحنة ، ولو أنهم غفلوا في الحالين لعرَّضوا أنفسهم لعقوبة الله ، كما لا ينبغي للعبد أن يكون غداراً ناقضاً للعهد يدعوا الله في الشدة فإذا استجاب الله له أعرض ونسى ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[1] .

وحقيقة الدعاء : هو إظهار الافتقار لله تعالى ، والتبرؤ من الحَوْل والقوة ، واستشعار الذلة ، كما أن فيه معنى الثناء على الله تعالى ، واعتراف العبد بجود وكرم مولاه .

١ - سورة الحشر : ١٩ .

النص

قال تعالى:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
الفلك	السفن .
غشيهم موج	علاهم وغطاهم .
كالظلل	كالسحاب أو الجبال المظلة .
فمنهم مقتصد	مقتصد في قوله وإقراره بربه ويضمر الكفر فهو متوسط في العمل .
ختار	الغَدَّار ، والخَتْر : أتَم الغدر وأبلغه .
كفور	جحود للنعم لا يشكرها ، بل يتناساها ولا يذكرها .

يوماً لا يجزي	لا يقضى فيه شيء .
فلا تغرنكم	فلا تخدعنكم ، وتلهينكم بلذاتها .
الغرور	ما يغر ويخدع من الشيطان وغيره .

سبب النزول:

- قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ . . . ﴾

نزلت هذه الآية في الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن حفصة من أهل البادية ، أتى النبيّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فسأله عن الساعة ووقتها ، وقال : إن أرضنا أجدبت ، فمتى ينزل الغيث وتركت امرأتي حبلى فماذا تلد؟ وقد علمت أين ولدت فبأيّ أرض أموت؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية .

الشرح الإجمالي للآيات:

آية الفلك

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٣١﴾ ﴾

يقول تعالى ألم تر يا محمد أن الله سبحانه هو الذي سَخَّر البحر لتجري فيه الفلك بأمره ، أي : بلطفه وتسخيره ، فإنه لولا ما جعل في الماء من قوة يحمل بها السفن لما جرت ، ولهذا قال : ﴿ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ ﴾ أي : ليريكم من عبره وحججه عليكم ففيها الانتفاع والاعتبار ، لذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴾ أي : ينتفع بها كل صبار في الضراء ، شكور في الرخاء . عن قَتادة ، قال : كان مطرف يقول : إنّ من أحبّ عباد الله إليه : الصبَّار الشَّكور .

وإن قال قائل : وكيف خصّ هذه الدلالة بأنها دلالة للصبَّار الشَّكور دون سائر الخلق؟ قيل :

لأنّ الصبر والشكر من أفعال ذوي العقول ، فأخبر أن في ذلك لآيات لكلّ ذي عقل ، لأن الآيات جعلها الله تعالى عبراً لذوي العقول والتمييز .

جلاء الفطرة:

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ﴿٣٢﴾ ﴾

وذكر تعالى حال الناس عند ركوبهم البحر وغشيان الأمواج كالظل فوقهم فقال : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ ﴾ أي : كالجبال والغمام ، والضلل جمع الظلة شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها ، وجعل الموج وهو واحد كالظلل وهي جمع ، لأن الموج يأتي منه شيء بعد شيء ، فلما خافوا الغرق ﴿ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ فزعوا إلى الله تعالى بالدعاء مخلصين له الطاعة لا يشركون به هنالك شيئاً ، ولا يدعون معه أحداً سواه ولا يستغيثون بغيره . كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ ﴾[1] ، وقال ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[2] . في موضع آخر موضحاً حالهم في مثل الموقف : ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ ﴾ مما كانوا يخافونه في البحر من الغرق والهلاك وأوصلهم إلى البرّ ، انقسموا فريقين ﴿ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ ﴾ فرقة مقتصدة ، أي : لم تقم بشكر اللّه على وجه الكمال ، بل هم مذنبون ظالمون لأنفسهم كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾[3] ، ويكون هذا من باب الإنكار على من شاهد تلك الأهوال والأمور العظام والآيات الباهرات في البحر ، ثم بعدما أنعم الله تعالى عليه من الخلاص ، كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام الدؤوب في العبادة ، والمبادرة إلى الخيرات . فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصراً .

---

١ – سورة الإسراء : ٦٧ .
٢ – سورة العنكبوت : ٦٥ .
٣ – سورة العنكبوت : ٦٥ .

وفرقة كافرة بنعمة اللّه تعالى جاحدة لها ، ولهذا قال : ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ ﴾ وما يكفر بأدلتنا وحججنا إلا كلّ غدّار بعهده ، ومن غدْرِه ، أنه عاهد ربه لئن أنجيتنا من البحر وشدته لنكونن من الشاكرين ، فغدر ولم يف بذلك ، ﴿ كَفُورٍ ﴾ جحوداً للنعم غير شاكر ما أسدى الله إليه من نعمة . فهل يليق بمن نجاهم اللّه تعالى من هذه الشدة ، إلا القيام التام بشكر نعم اللّه ـ ﷻ؟

تنبيه وتذكير:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾

يأمر الله تعالى الناس بتقواه التي هي امتثال أوامره وترك زواجره ، وينذرهم يوم المعاد ليخشوا يوم القيامة ، هذا اليوم الشديد ، حيث ﴿ لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ ﴾ أي : لو أراد أن يفديه بنفسه لما قُبل منه . وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يتقبل منه ، لأن الأمر يصير هنالك بيد من لا يغالب ولا تنفع عنده الشفاعة والوسائل ، إلا وسيلة من صالح الأعمال التي أسلفها في الدنيا و يقول ابن عباس : كل امرئ يهمه نفسه . ﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ يقول : اعلموا أن مجيء هذا اليوم حقّ ، وذلك أن الله قد وعد عباده ولا خلف لوعده ، ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ يقول : فلا تخدعنكم زينة الحياة الدنيا ولذّاتها ، فتميلوا إليها وتطمأنوا إليها وتدعوا الاستعداد لما فيه خلاصكم من عقاب الله ـ ﷻ ـ ذلك اليوم . ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ ولا يخدعنّكم بالله تعالى خادع . يعني : الشيطان .

قاله ابن عباس : فإنه يغر ابن آدم ويَعدهُ ويمنيه ، وليس من ذلك شيء بل كما قال تعالى : ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[1]

١ – سورة النساء : ١٢٠ .

مفاتيح الغيب:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤ ﴾

هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها ، فلا يعلمها أحد إلا إذ أعلمه الله تعالى بها ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾[1] ، ﴿ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ ﴾ أي : هو المنفرد بإنزاله وعلم وقت نزوله ، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومَنْ شاء الله تعالى من خلقه . ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ ﴾ وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه الله تعالى سواه ، ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى ، أو شقياً أو سعيداً علم الملائكة الموكلون بذلك ، ومَنْ شاء الله تعالى من خلقه . ﴿ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ ﴾ وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وأخراها ، ﴿ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ ﴾ في بلدها أو غيره من أي بلاد الله تعالى كان ، لا علم لأحد بذلك . وهذه شبيهة بقوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾[2] . وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس : مفاتيح الغيب . ولما خصص هذه الأشياء ، عمم علمه بجميع الأشياء فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ محيط بالظواهر والبواطن ، والخفايا والخبايا والسرائر ، ومن حكمته التامة أن أخفى - ﷻ - علم هذه الخمسة عن العباد ، لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك .

عن عبدالله بن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : «مفاتيح الغيب خمس ، لا يعلمها إلا الله : لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»[3] .

---

١ - سورة الأعراف : ١٨٧ .

٢ - سورة الأنعام : ٥٩ .

٣ - رواه البخاري .صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن - باب قوله « الله يعلم ما تحمل كل انثى . . » ٤٤٢٠ .

هداية الآيات:

١ – من آثار قدرة الله تعالى ورحمته وعنايته بعباده ، أن سخر البحر تجري فيه الفلك للانتفاع والاعتبار .

٢ – الصبر والشكر من علامات كمال الإيمان .

٣ – المقتصد مقتصر على ما يجب عليه تارك للمحرم . لم يقم بشكر اللّه على وجه الكمال ، بل هو ظالم لنفسه .

٤ – أقبح الغدر أن يخلص العبد بالدعاء لله تعالى عند الشدة ، فإذا عافاه الله تعالى غدر ولم يقم بحق الله ـ ﷻ ـ من العبادة والشكر .

٥ – سعادة الإنسان في تقوى الله تعالى ، والعمل بما أمر وترك ما نهى .

٦ – مفاتيح الغيب خمسة استأثر الله تعالى بعلمها ، فلا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا بإذنه .

القيم المستفادة:

١ – الشكر .

٢ – التقوى .

٣ – الخشية .

التقويم

السؤال الأول:

- اكتب حقيقة الدعاء .

• ..... .

• ..... .

السؤال الثاني:

- عرضت الآيات حال الناس عند ركوبهم البحر . . . وضّح ذلك .

• ..... .

• ..... .

• ..... .

السؤال الثالث:

أكمل ما يأتي:

- مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها هي .....و.....

.....و.....و..... .

- هات من السنة حديثاً شريفاً يعدّد مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالى .

• ..... .

• ..... .

مقدمة سورة السجدة

بَين يَدَي السُّورَة

سورة السجدة مكية ، وهي كسائر السور المكية تعالج أصول العقيدة الإسلامية «الإيمان بالله واليوم الآخر ، والكتب والرسل ، والبعث والجزاء» ، والمحور الذي تدور عليه السورة الكريمة هو موضوع «البعث بعد الفناء» الذي طالما جادل المشركون حوله ، واتخذوه ذريعة لتكذيب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

ثم تحدثت السورة عن دلائل القدرة والوحدانية ، ببيان آثار قدرة الله في الكائنات العلوية والسفلية ، على طريقة القرآن في لفت الأنظار إلى إبداع الواحد القهار .

ثم ذكرت السورة الكريمة شبهة المشركين السخيفة في إنكارهم للبعث والنشور ، والرد عليهم بالحجج القاطعة والأدلة الساطعة ، التي تنتزع الحجة من الخصم الجاحد العنيد ، فلا يلبث أن يقر على نفسه بالهزيمة أمام قوارع القرآن وروائع الحجة والبيان .

وختمت السورة بالحديث عن يوم الحساب ، وما أعدَّ الله فيه للمؤمنين المتقين من النعيم الدائم في جنات الخلد ، وما أعده للمجرمين من العذاب والنكال في دار الجحيم .

التسمية:

سميت «سورة السجدة» لما ذكره تعالى فيها من أوصاف المؤمنين الأبرار ، الذين إذا سمعوا آيات القرآن العظيم ﴿ . . . خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1] .

ومن فضل هذه السورة الكريمة أن النبيّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ـ يقرأها في الركعة الأولى من صلاة الفجر يوم الجمعة ، وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا ينام حتى يقرأها .

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله -ﷺ- يقرأ يوم الجمعة في صلاة الفجر ألم تنزيل وهل أتى على الإنسان .[2]

---

١ - سورة السجدة : ١٥ .

٢ - سنن الترمذي - كتاب الجمعة - باب ما جاء في ما يقرأ به في صلاة الصبح والجمعة ص٣٩٨ حديث رقم ٥٢٠

الدرس الثالث عشر

مظاهر قدرة الله تعالى

سورة السجدة الآيات من (١-٩)

تبتدىء السورة الكريمةُ بدفع الشك والارتياب عن القرآن العظيم ، المعجزة الكبرى لرسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الذي لا تحوم حول ساحته الشبهات والأباطيل ، ومع وضوح إعجازه وسطوع آياته ، وإشراقة بيانه وسموّ أحكامه ، أتّهم المشركون الرسول -ﷺ- بأنه افترى هذا القرآن واختلقه من تلقاء نفسه ، فجاءت السورة الكريمة تردُّ هذا البهتان بروائع الحجة والبرهان .

النص

قال تعالى:

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
لا ريب	لا شك .
افتراه	اختلقه .
يهتدون	يعرفون الحق ويؤثرونه .
خلق	أوجد ، أبدع .
استوى	استواء يليق به سبحانه بلا تكييف ولا تمثيل ، والاستواء : العلو والارتفاع .
ولي	ناصر ينصركم إن أراد بكم ضراً .
شفيع	يشفع لكم عنده .
أفلا تتذكرون	أفلا تتعظون .
يدبر	يحكم ، يتقن .
الأمر	الشأن .
يعرج	يصعد .
في يوم	في يوم القيامة .
العزيز	الغالب القوي .
أحسن	أحكم ، أتقن .
سلالة	خلاصة ، ذرية ، سميت الذرية سلالة لأنها تسل من الأصل وتنفصل عنه .
مهين	ممتهن والمراد به : المني .
سوّاه	قوّمه بتصوير أعضائه وتكميلها .
الأفئدة	القلوب .

الشرح الإجمالي للآيات:

تنزيل رب العالمين:

﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣ ﴾

قوله تعالى ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ هذه الحروف المقطعة سبق الحديث عنها في أول سورة الروم .

﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ تنزيل القرآن ﴿ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ لا شك فيه وأنه منزل من رب العالمين ، وأنه ليس بكذب ، ولا سحر ولا كهانة ، ولا أساطير الأولين ، ومع ذلك قال المكذبون الظالمون للرسول ـ ﷺ ـ في ذلك : افتراه محمد واختلقه من عند نفسه .وهذا من أكبر الجراءة على إنكار كلام الله ـ ﷻ ـ ورمي محمد ـ ﷺ ـ بأعظم الكذب ، وقدرة الخلق على كلام مثل كلام الخالق .

ثم قال تعالى مخبراً عن المشركين ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ ﴾ ـ أم ـ هي المنقطعة التي بمعنى ﴿ بَلۡ ﴾ للإضراب ، والهمزة للاستفهام ، أي : بل أيقولون افتراه محمد واختلقه وأتى به من تلقاء نفسه؟ والاستفهام هنا يفيد التقريع والتوبيخ .

﴿ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ فكذبهم سبحانه في دعوى الافتراء ، فالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه جاءك من ربك ووحياً أوحاه إليك ، ثم بَيَّنَ العلة التي كان التنزيل لأجلها فقال ﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ ﴾ لم يأت هؤلاء القوم الذين أرسلك ربك يا محمد إليهم – وهم قومه من قريش – نذير قبلك ينذرهم بأس الله تعالى وعذابه إن بقوا على شركهم وكفرهم ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ رجاء أن يؤمنوا ويوحدوا ، فيهتدوا إلى الحق بعد ضلالهم ، فينجوا ويسعدوا .

بديع صنع الله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾

يخبر تعالى عن كمال قدرته وعظيم صنعه ، ليسمعوا القرآن ويتأملوه فهو الذي أوجد وأبدع السماوات والأرض وما بينهما من مخلوقات ﴿ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ من مثل أيام الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة ، ولذا كانت الجمعة من أفضل الأيام ، مع قدرته ـ تعالى ـ على خلقها بقوله «كن» ، ولكن له الحكمة البالغة ـ سبحانه ـ .

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ سبحانه وتعالى استوى على عرشه استواءً يليق به ، ومعنى استوى : علا وارتفع . يدبر أمر مخلوقاته ، وقد سئل الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ عن الاستواء فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

والعرش أعظم مخلوقات الله لا يقدر قدره إلا الله ـ تعالى ـ .

﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ ليس لكم إذا جاوزتم رضاه من ولي ، أي : ناصر ينصركم إن أراد بكم ضراً أو هلاكاً ، ولا شفيع يشفع لكم عنده إذا أراد الانتقام بسبب شرككم به ، وأصل الشفاعة : الانضمام إلى آخر ناصراً له سائلاً عنه .

وفي نفي الشفيع رد على قول بعضهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله ـ تعالى ـ على تقدير أنهم يبعثون يوم القيامة ، إذ قالوا : هؤلاء شفعاؤنا عند الله تعالى أو في قضاء حوائجهم في الدنيا .

﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ فتعلموا أنه لا إله إلا الله فتعبدوه وتسمعون هذه المواعظ سماع من يفهم ويعقل حتى تنتفعوا بها .

تدبير أمر السماء والأرض:

﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ﴾

يتنزل أمره بإحكام وإتقان من أعلى السماوات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة ، ينزل أمره من حيث العرش وكتاب المقادير إلى الأرض حيث تتم الحياة والموت والصحة والمرض والعطاء والمنع وغير ذلك . ﴿ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ ﴾ ثم ترفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا . ﴿ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ في يوم القيامة حين يعم الكون الفناء ولم يبق ما يدبر في هذه الأرض لفنائها ، قال مجاهد وقتادة والضحاك :النزول من الملك في مسيرة خمسمئة عام ولكنه يقطعها في طرفة عين .

﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ ذلك اسم إشارة عائد إلى الله ـ تعالى ـ أي ذلك الرب العظيم والإله الحكيم الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما ، المدبر لهذه الأمور الذي هو شهيد على أعمال عباده يُرفع إليه جليلها وحقيرها وصغيرها وكبيرها .

﴿ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ هو العزيز الذي قدّر كل شيء فقهره وغلبه ودانت له العباد والرقاب ، الرحيم بعباده المؤمنين فهو عزيز في رحمته رحيم في عزته ، وهذا هو كمال العزة مع الرحمة والرحمة مع العزة فهو رحيم بلا ذل .

أطوار خلق الإنسان:

﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩ ﴾

﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ ﴾ يقول تعالى مخبراً أنه الذي أحكم وأتقن كل شيء ، أي أوجده محكماً متقناً على وفق ما أراده ، ثم خص الآدمي لشرفه وفضله فقال : ﴿ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴾ أي بدأ خلق آدم من طين فصار على صورة بديعة وشكل حسن .

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ ﴾ ذريته ﴿ مِن سُلَٰلَةٖ ﴾ من علقة وقد سميت الذرية سلالة لأنها تُسَلَّ من الأصل وتنفصل عنه ، ﴿ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ وهو النطفة أي المني ، ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ ﴾ سوى آدم بلحمه وأعضائه وأعصابه وعروقه ، وأحسن خلقه ووضع كل عضو منه بالمحل الذي لا يليق به غيره ، كما سوى الإنسان في رحم أمه أي سوى خلقه .

﴿ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾ بأن أرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح وأضافه إلى نفسه للتشريف والتكريم ، كبيت الله تعالى .

وهذه الإضافة تقوي أن الكلام في آدم لا في ذريته وإن أمكن توجيهه بالنسبة إلى الجميع ، ثم خاطب جميع النوع فقال : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ ﴾ خلق لكم السمع والبصر والقلوب تكميلاً لنعمته عليكم وتتميماً لتسوية خلقكم ، حتى تجمع لكم النعم لتسمعوا وتبصروا وتفقهوا لحاجتكم إلى ذلك لأن حياتكم تتطلب منكم مثل ذلك ، ومع هذه النعم الجليلة ﴿ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾ لا تشكرون الله إلا شكراً قليلاً .

من هداية الآيات:

١ – التنويه بشأن القرآن الكريم وأنه منزل من الله تعالى .

٢ – دحض شبهة المشركين والرد على مزاعمهم الباطلة .

٣ – عظيم خلق الله تعالى للسماوات والأرض .

٤ – إثبات صفة الاستواء على العرش لله تعالى .

٥ – بيان موضوع الدعوة إلى الله وهو الدعوة إلى التوحيد .

٦ – بيان قدرة الله الباهرة في تدبير الخلق وبديع خلقه .

٧ – وجوب شكر الله تعالى على نعمه العظيمة .

القيم المستفادة:

١ – الإيمان بالبعث .

٢ – تعظيم القرآن الكريم .

٣ – حب العمل الصالح .

التقويم

السؤال الأول:

- صل بين الكلمة ومعناها بوضع الرقم المناسب فيما بين القوسين فيما يلي:

(أ)	الرقم	(ب)
١ - يدبر :	( )	أوجد ، أبدع .
٢ - سواه :	( )	يصعد .
٣ - افتراه :	( )	قوّمه بتصوير أعضائه وتكميلها .
٤ - يعرج :	( )	يحكم ويتقن .
٥ - خلق :		

السؤال الثاني:

- ارجع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لتستخرج آيات أخرى توضح أطوار خلق الإنسان والمراحل التي يمر بها .

- ..... .
- ..... .
- ..... .

السؤال الثالث:

قال تعالى:

١ - ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ﴾ .

- فسّر الآية السابقة بالرجوع إلى أحد كتب التفسير مستعيناً بمعلمك .

- ..... .

- ..... .

- ..... .

٢ - علل ما يأتي :

- أضاف الله تعالى الروح إلى نفسه -ﷻ- .

- ..... .

- ..... .

- ..... .

الدرس الرابع عشر

إثبات البعث وصفة الكفار يوم القيامة

سورة السجدة الآيات من (١٠-١٤)

لجأ الكفار إلى الأساليب المنحرفة للتكذيب بكل ما جاء به الإسلام ، وكان الهدف من ذلك هو رد الدعوة وعدم التصديق بها ، ومن تلك الأساليب الاستهزاء بالبعث وما يليه من الحساب والعقاب ، والآيات التالية فيها الرد الحاسم على مثل تلك الادعاءات الواهية بل وأكثر من ذلك ، إذ فيها بيان لما سيؤول إليه أولئك المكذبون الضالون من العذاب الأليم والخزي المهين .

النص

قال تعالى:

وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
ضللنا	ذهبنا وغبنا وصرنا تراباً .
خلق جديد	بعث جديد .
كافرون	جاحدون له مكابرة وعناداً .
يتوفاكم	يقبض أرواحكم .
ترجعون	تعودون إليه .
ناكسوا	مطأطئو .
حقَّ	وجب .
نسيناكم	تركناكم في العذاب .
عذاب الخلد	العذاب الخالد الدائم .

الشرح الإجمالي للآيات:

أصول العقيدة:

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠ ﴾

ما زال السياق في تقرير أصول العقيدة فأخبر الله تعالى عن منكري البعث حيث يقول تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ ﴾ أي : المكذبون بالبعث على وجه الاستبعاد .

﴿ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أئذا ذهبنا وغبنا في الأرض وصرنا تراباً بعد الموت ، ﴿ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭ ﴾ أي : أئنا لنعود ونبعث بعد تلك الحال؟ يستبعدون ذلك وهذا إنما هو بعيد بالنسبة إلى قدرتهم العاجزة لا بالنسبة إلى قدرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم والذي إنما أمره إذا أراد شيئاً

أن يقول له كن فيكون ، والاستفهام هنا للاستنكار فكلامهم هذا ليس لطلب الحقيقة وإنما هو ظلم وعناد وكفر بلقاء ربهم ، ولهذا قال :

﴿ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾ بل : للإضراب فأضرب الله سبحانه من بيان كفرهم بإنكار البعث إلى بيان ما هو أبلغ منه وهو كفرهم بلقاء الله تعالى .

فلو كان قصدهم بيان الحق لتبيّن لهم من الأدلة القاطعة على ذلك ما يجعله مشاهداً للبصيرة بمنزلة الشمس للبصر ، ويكفيهم علمهم أنهم قد ابتدئوا من العدم فالإعادة أسهل من الابتداء ، فنستنتج أن علة إنكارهم للبعث هي كفرهم بلقاء ربهم ، إذ لو كانوا يؤمنون بلقاء الله تعالى الذي وعدهم به لما أنكروا البعث والحياة .

حقيقة الموت:

﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾

﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم ﴾ أي قل يا رسولنا لهؤلاء المنكرين للبعث ولقاء الرب تعالى : يتوفاكم عند نهاية آجالكم ﴿ مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ : الملك الذي جعله الله تعالى وكيلاً على قبض أرواحكم وله أعوان . وأصل التوفي : أخذ الشيء وافياً تاماً ، يقال : توفاه الله أي استوفى روحه وقبضه ، وتوفيت مالي : استوفيته .

﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ أي تصيرون إليه أحياء بالبعث والنشور لا إلى غيره فيجازيكم بأعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

حال المجرمين يوم القيامة:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

وبعد أن ذكر الله تعالى رجوعهم إليه يوم القيامة ، ذكر حالهم في مقامه وبين يديه فقال : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ يا محمد منكري البعث يوم القيامة ، وجواب (لو) محذوف : أي : لرأيت أمراً فظيعاً .

﴿ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ وهم الذين أجرموا على أنفسهم فدنسوها بالشرك والمعاصي .

﴿ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ : مطأطئوها حياءً وندماً على ما فرّطوا في الدنيا من الشرك بالله والعصيان له ، ومعنى ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ : عند محاسبته لهم .

﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ : هذا قول المجرمين وهم عند ربهم أي يا ربنا لقد أبصرنا الآن ما كنا نكذب به من البعث والجزاء ، وسمعنا منك أي تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا .

﴿ فَٱرْجِعْنَا ﴾ سائلين الله تعالى الرجعة إلى الدنيا ، ﴿ نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ : لكي نعمل عملاً صالحاً إنا قد أيقنا وتحققنا ولم يبق في نفوسنا شك بأنك الإله الحق وبأن لقاءك حق ، وقد علم الرب تعالى منهم أنهم لو أعادهم إلى دار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفاراً يكذبون بآيات الله تعالى ويخالفون رسله .

إرادة الله ـ ﷻ ـ :

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ هذا رد عليهم لما طلبوا الرجعة : فلو شئنا إعطاء كل نفس رشدها وتوفيقها إلى الإيمان أعطيناها إياه فلم يكفر منهم أحد .

﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾ أي ثبت وتحقق قولي ووجب العذاب لأنه قد علم سبحانه أنهم من أهل الشقاوة وأنهم من يختار الضلالة على الهدى ، وهو معنى قوله ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ أي من الكفار ومجرمي الجن والإنس معاً .

وقوله ﴿ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ ﴾ أي ويقال لأهل النار على سبيل التقريع والتوبيخ : ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به واستبعادكم وقوعه وتناسيكم له إذ عاملتموه معاملة من هو ناسي له .

﴿ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ ﴾ أي سنعاملكم معاملة الناسي ، لأنه تعالى لا ينسى شيئاً ولا يضل عنه شيء ، بل من باب المقابلة كما قال تعالى : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ من الشرك والمعاصي ، هذا ما يقال لهم وهم في جهنم تبكيتا لهم وتقريعاً زيادة في عذابهم والعياذ بالله تعالى .

هداية الآيات:

١ – قدرة الله تعالى تتجلى في البعث بعد الممات .

٢ – القدرة على البعث أيسر من ابتداء الخلق .

٣ – ملك الموت هو الموكل بقبض أرواح العباد .

٤ – لكل نفس أجل مسمى .

٥ – التقرب إلى الله تعالى بالعمل الصالح .

٦ – طلب الهداية من الله العلي القدير .

٧ – الاستعاذة من النار واجتناب ما قرب إليها من قول وعمل .

القيم المستفادة:

١ – الإيمان بالبعث .

٢ – حب العمل الصالح .

٣ – اتقاء النار .

---

١ – سورة الجاثية : ٣٤ .

التقويم

السؤال الأول:

١ – ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

– أقر الكفار بالبعث والحياة بعد الموت . ( )

– كفر المشركون بلقاء الله تعالى . ( )

– هداية البشر مقيدة بمشيئة الله ـ ﷻ ـ . ( )

– يقتصر عذاب الكفار يوم القيامة على التوبيخ والتقريع . ( )

٢ – ماذا أفاد قوله تعالى ﴿ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾؟

- .....
- .....

السؤال الثاني:

١ – بِمَ تصف حال المشركين يوم الحساب؟

- .....
- .....

٢ – بِمَ تعلل:

– وصف الكفار بالمجرمين في الآيات الكريمة؟

- .....
- .....

- ذكر البصر والسمع في الآية .

- ..... .

- ..... .

السؤال الثالث:

١ - قدّم النصح لمن ضل طريق الهداية.

- ..... .

- ..... .

- ..... .

- ..... .

٢ - استعن بكتاب تفسير لجمع صفات الكفار وحالهم يوم القيامة الواردة في سورة (الزمر).

- ..... .

- ..... .

الدرس الخامس عشر

من شواهد الإيمان

سورة السجدة الآيات من (١٥-٢٢)

إن المؤمنين الذين يستحقون رحمة الله تعالى وجنته لهم سمات خاصة ، فهم قد عملوا الصالحات في دار العمل ابتغاء رضا الله تعالى وثوابه ، وفي الآيات التالية يتضح مآل هؤلاء الصالحين ، ثم مآل من أساء العمل وخرج عن طاعة الله تعالى ، وليكن ذلك عبرة لمن يعتبر ويتعظ .

النص

قال تعالى:

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
ذكروا	وُعِظوا .
خروا	سقطوا على وجوههم ساجدين خاشعين مطيعين .
سبحوا	نزهوا وقدسوا .
تتجافى	ترتفع أو تتباعد .
جنوبهم	الجنوب جمع جنب وأصله الجارحة المعروفة وأريد به الشخص .
المضاجع	جمع مضجع وهو مكان الاتكاء للنوم .
لا يستكبرون	خاشعين متذللين .
قرة أعين	ما تسر به قلوبهم .
مؤمناً	مصدقاً بالله تعالى .
فاسقاً	الخارج عن طاعة الله ، والمراد به هنا : الكافر .
نزلاً	ثواباً ، النُزُل ما يعد للضيف من الطعام والشراب .
العذاب الأدنى	الأقرب ، وهو عذاب الدنيا .
العذاب الأكبر	عذاب الآخرة .
فمأواهم	منزلهم ومسكنهم .

أسباب النزول:

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾

عن أنس بن مالك قال : فينا نزلت معاشر الأنصار ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ كنا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي -ﷺ- وقال مجاهد نزلت في المتهجدين الذين يقومون الليل للصلاة .

الشرح الإجمالي للآيات:

شواهد الإيمان:

﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

لما ذكر الله تعالى جزاء المجرمين وهم المكذبون بآيات الله تعالى ولقائه ، ذكر جزاء المؤمنين وهم الذين آمنوا بآيات الله ـ ﷻ ـ ولقائه ، ذكرهم بأجمل صفاتهم فقال : ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ إنما يصدق بآياتنا وينتفع بها من توجد به شواهد الإيمان وهم ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا ﴾ الذين إذا تليت عليهم آيات القرآن وأتتهم النصائح على أيدي الرسل ودعوا إلى التذكر ، سمعوها فقبلوها وانقادوا و﴿ خَرُّواْ سُجَّدٗا ﴾ سقطوا ساجدين لله تعالى تواضعاً له وخشوعاً وخوفاً من عذابه ، ﴿ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ ﴾ أي نزهوه وقدسوه أثناء سجودهم بقولهم سبحان ربي الأعلى والحال أنهم لا يستكبرون عن عبادة الله تعالى مطلقاً ، بل يأتونها متذللين خاشعين ، وهذه الآية من عزائم السجود حيث إنه من السنّة أن يسجد المسلم عند قراءتها .

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ هذه بعض صفاتهم أيضاً وهي أنهم يباعدون جنوبهم عن فرشهم وترتفع عن مضاجعها المريحة إلى ما هو أطيب عندهم منه وأحب إليهم وهو الصلاة

في الليل ومناجاة الله تعالى .

ولهذا قال تعالى ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ يدعون الله تعالى في حال صلاتهم وفي غيرها إلى جلب مصالحهم الدينية والدنيوية ودفع مضارهما ، وهو دعاء تميز بالجمع بين الوصفين خوفاً من عذاب ربهم وطمعاً في رحمته ـ خوفاً أن ترد أعمالهم وطمعاً في قبولها ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ هذا وصف آخر لهم وهو أنهم يتصدقون من أموالهم زيادة على أداء الزكاة ، كتهجدهم بالليل زيادة على الصلوات الخمس المفروضة .

قرة الأعين:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾

يخبر تعالى عن جزائهم عنده فيقول : فلا تعلم نفس – النكرة في سياق الكلام تفيد العموم من النفوس ما خبأ الله تعالى لهم من النعيم المقيم الذي تقر به أعينهم أي تسر وتفرح ، كما قال تعالى في الحديث القدسي : «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»فاقرءوا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[1] .

كما صلوا بالليل ودعوا وأخفوا العمل جازاهم من جنس عملهم فأخفى أجرهم ولذا قال : ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ أي جازاهم ذلك النعيم بعملهم الصالح الذي كانوا يعملونه في الدنيا ، ثم ينبه العقول على ما تقرر فيها من عدم تساوي المتفاوتين المتباينين وأن حكمته تقتضي عدم تساويهما فقال تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾ الاستفهام هنا للإنكار أي ليس المؤمن كالفاسق فقد ظهر ما بينهما من التفاوت ولهذا قال تعالى ﴿ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ لا عقلاً ولا شرعاً كما لا يستوي الليل والنهار والضياء والظلمة وكذلك لا يستوي ثوابهما في الآخرة .

---

١ – رواه البخاري – صحيح البخاري – كتاب بدء الخلق – باب الخيمة درة مجوفة ٣٠٧٢٠٠ .

نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب والوليد بن عتبة إنه قال لعلي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن أحدُّ منك سناناً وأبسط منك لساناً واملأ الكتبه منك فقال له علي اسكت فإنما أنت فاسق منزل قوله تعالى ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا ﴾ فالمؤمن علي والفاسق الوليد

جزاء الإيمان:

﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بالله رباً وإلهاً وبمحمد نبياً ورسولاً وبالإسلام شرعاً وديناً ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ بأداء الفرائض والنوافل بعد اجتنابهم الشرك والمحارم ﴿ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا ﴾ أي لهم الجنات التي هو مأوى اللذات ومحل الخلود ـ وأضاف الجنات إليه لكونه المأوى الحقيقي ـ وأنها معدة لهم عند نزولهم وضيافته لهم ﴿ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ الباء للسببية أي بسبب ما كانوا يعملونه أوصلهم لتلك المنازل الغالية العالية التي لا يمكن الوصول إليها إلا بالإيمان والعمل الصالح .

مجازاة الفاسقين:

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ ﴾ الذين خرجوا عن الطاعة وعن أوامر الله فلم يوحدوا ولم يطيعوا وعاشوا على الشرك والمعاصي حتى ماتوا ، ﴿ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ ﴾ فالنار مقرهم ومحل مثواهم وإقامتهم لا يخرجون ، ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ ﴾ أي هموا بالخروج لبلوغ العذاب منهم كل مبلغ أعيدوا فيها من قبل الزبانية تدفعهم عن أبوابها ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ﴾ يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً وإذلالاً ﴿ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ إذ كانوا مكذبين بالبعث والجزاء . وقال

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ ﴾ قال ابن عباس يعني بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها وما يحل بأهلها مما يبتلي الله به عباده ليتوبوا إليه ﴿ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ وهو عذاب الآخرة ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ يخبر تعالى أنه قائل ذلك لكفار قريش لعلهم يتوبون إلى الإيمان والتوحيد فينجوا من العذاب وينعموا في الجنة وفعلاً قد تاب منهم كثيرون . وقال بعض العلماء : في الآية إشارة إلى عذاب القبر .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ﴾ لا أحد أظلم وأزيد تعدياً ممن ذكِّر بآيات ربه التي أوصلها إليه على أيدي رسله فقابلها هذا الظالم بضد ما ينبغي ، فلم يؤمن بها وأعرض عنا وتركها وراء ظهره كما كان يفعل كفار قريش عند سماع القرآن يتلى ، فلا أشد ظلماً من هذا المعرض ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ إنه لا محالة فالله تعالى منتقم من أهل الإجرام وأهل الشرك والمعاصي .

من هداية الآيات:

١ – فضيلة التسبيح في الصلاة وهو : سبحان ربي العظيم في الركوع ، وسبحان ربي الأعلى في السجود .

٢ – ذم الاستكبار وأهله ومدح التواضع لله تعالى .

٣ – فضيلة قيام الليل وهو المعروف بالتهجد والدعاء خوفاً وطمعاً .

٤ – بشرى المؤمنين الصادقين من ذوي الصفات المذكورة في الآيات .

٥ – بيان خطأ من يسوي بين المؤمن والكافر والبار والفاجر والمطيع والفاسق .

٦ – بيان جزاء كل من المؤمنين والفاسقين .

٧ – بيان أن الله تعالى كان يأخذ من عصى وأجرم بألوان من المصائب لعلهم يتوبون .

٨ – بيان أنه لا أظلم ممن ذكر بآيات الله تعالى فيعرض عنها مستكبراً جاحداً معانداً .

القيم المستفادة:

١ – حب القرآن الكريم .

٢ – الدعاء .

٣ – الإنفاق في سبيل الله تعالى .

التقويم

السؤال الأول:

أكمل ما يأتي:

– من شواهد الإيمان :

١ – ..... .

٢ – ..... .

٣ – ..... .

السؤال الثاني:

علل ما يأتي:

– المؤمنون تتجافى جنوبهم عن المضاجع .

• ..... .

السؤال الثالث:

اكتب الآية الكريمة التي تضمنت الاستفهام ثم بيّن الهدف منه.

الآية هي قوله تعالى ﴿ ..... ﴾

الهدف منه .....

السؤال الرابع:

– صف حال الفاسقين يوم القيامة من خلال دراستك للآيات السابقة .

• ..... .

الدرس السادس عشر

تقرير أصول العقيدة

سورة السجدة الآيات من (٢٣-٣٠)

في حادثة الإسراء والمعراج التقى رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بنبي الله موسى ـ عليه السلام ـ وبعض الأنبياء ، وفي ذلك بيان لوحدة هدف الأنبياء ، ووحدة العقيدة التي نادى بها المرسلون ، والآيات التالية تقرر ذلك الأمر لقوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أنا أولى الناس بابن مريم . الأنبياء أولاد علات . وليس بيني وبين عيسى نبي»[1] .

النص

قال تعالى:

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

١ – رواه مسلم .– صحيح مسلم – كتاب الفضائل – باب «أنا أولى الناس بابن مريم – ٢٣٦٥– .

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
فِي مِرْيَة	في شك .
الْأَرْضِ الْجُرُزِ	هي التي لا نبات فيها .

الشرح الإجمالي للآيات:

حقيقة اللقاء:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله موسى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أنه أعطاه الكتاب وهو التوراة ، إذاً فلم ينكر عليك المشركون أن يؤتيك ربك القرآن كما آتى موسى التوراة ، وفي هذا تقرير لأصل من أصول العقيدة وهو الوحي والنبوة المحمدية .

﴿ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ﴾ فلا تكن يا محمد في شك من لقائك موسى ليلة الإسراء والمعراج ، فقد لقيه حتماً وطلب إليه أن يراجع ربه في شأن الصلاة ، فراجع حتى أصبحت خمساً بعد أن كانت خمسين .

﴿ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ وجعلنا الكتاب أو موسى كلاهما هادياً لبني إسرائيل إلى سبيل السلام والصراط المستقيم ، وقوله ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك نواهيه كان منهم أئمة يهدون الناس إلى الحق ويدعون إلى الخير ـ قال بعض العلماء بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ـ ﴿ لَمَّا صَبَرُوا۟ ﴾ على أذى أقوامهم وعلى مشاق

التكليف والهداية للناس . ﴿ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ وصلوا في الإيمان بآيات الله إلى درجة اليقين وهو العلم التام الموجب للعمل وقد وصلوا لذلك بالعلم والصبر ، وفي ذلك فائدة وهي : أن اليقين يزيل الشبهات ، والصبر يهدم الشهوات .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ يخبر رسوله محمداً -ﷺ- بأنه -ﷻ- الذي يفصل بين المختلفين من الأنبياء وأممهم وبين الموحدين والمشركين ، فيحكم بإسعاد أهل الحق وشقاء أهل الباطل ، وفي الآية تسلية للرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتخفيف عليه مما يجد في نفسه من خلاف قومه له .

عظة وعبرة:

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ أولم يهد لهؤلاء المكذبين بالرسل ما أهلك الله تعالى من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل فلم يُبقِ منهم باقية . ﴿ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۚ ﴾ مارّين بهم في أسفارهم إلى الشام -كمدائن صالح وبلاد مدين وبحيرة لوط - وإنا قادرون على إهلاكهم إن أصروا على الشرك والتكذيب كما أهلكنا القرون من قبلهم . ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ ﴾ إن في ذهاب أولئك القوم ودمارهم بسبب تكذيبهم الرسل ونجاة من آمن بهم لآيات وعبر ومواعظ ودلائل .

﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ أي أصموا فلا يسمعون هذه المواعظ التي تتلى عليهم فيتوبوا من الشرك والتكذيب فينجوا ويسعدوا .

مظاهر قدرته ـ ﷻ:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ أغفل أولئك المكذبون بالبعث والحياة الثانية ولم يروا ﴿ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ ﴾ فيبيّن الله تعالى لطفه بخلقه وإحسانه إليهم في إرساله الماء من السماء أو الأنهار ويتحدر من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته ولهذا قال تعالى ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾ ، فيؤمنوا بالبعث الآخر فيستقيموا في عقائدهم . ﴿ فَنُخْرِجُ بِهِۦ ﴾ أي بالماء . ﴿ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ ﴾ من الكلأ والحشيش . ﴿ وَأَنفُسُهُمْ ﴾ من الحَب والخُضَر والفواكِهَ . ﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ هذا فيعلمون أنا نقدر على إعادتهم . و ﴿ فَنُخْرِجُ ﴾ يكون مَعطوفاً على ﴿ نَسُوقُ ﴾ أو منقطعاً مما قبله .

وعد الله تعالى:

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

أي متى تنتصر علينا يا محمد؟ كما تزعم أن لك وقتاً تدال علينا وينتقم لك منا فمتى يكون هذا؟ ما نراك أنت وأصحابك إلا مختفين خائفين ذليلين .

﴿ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ ﴾ وهنا أمر تعالى رسوله أن يقول لهم : إذا جاء يوم الفتح بيننا وبينكم لا ينفع نفساً كافرةً إيمانُها عند رؤية العذاب .

﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ أي ، يؤخرون ويمهلون ليتوبوا ويستغفروا فيُتاب عليهم ويُغفر لهم ، إذ إن سنة الله تعالى أن من عاين العذاب لا تقبل توبته .

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ فأعرض يا رسولنا عن هؤلاء المشركين وبلغ ما نُزِّل إليك من ربك ﴿ وَٱنتَظِرْ ﴾ وانتظر ، فإن الله تعالى سينجز لك ما وعدك وسينصرك على من خالفك إنه لا يخلف الميعاد .

﴿ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء رسالة الله تعالى في نصرُك وتأييدك ، وسيجدون غِب ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك من عقاب الله تعالى لهم ، وحلول عذابه بهم عاجلاً أو آجلاً .

من هداية الآيات:

١ – تقرير النبوة المحمدية وتأكيد قصة الإسراء والمعراج .

٢ – الكتاب والسنة مصدر هداية وسعادة البشرية .

٣ – بيان ما تنال به الإمامة في الدين وهو الصبر وصحة اليقين .

٤ – كل خلاف كان في هذه الحياة سينتهي بحكم الله تعالى فيه يوم القيامة .

٥ – في إهلاك الله تعالى للقرون السابقة أكبر واعظ لمن له قلب وسمع وبصيرة .

٦ – تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة المقررة لها .

٧ – استعجال الكافرين العذاب دال على جهلهم وطيشهم .

٨ – بيان أن التوبة لا تقبل عند معاينة العذاب أو مشاهدة ملك الموت ساعة الاحتضار .

القيم المستفادة:

١ – التصديق .

٢ – حب الأنبياء والمرسلين .

٣ – الاعتبار بمن سبق .

التقويم

السؤال الأول:

اكتب معاني المفردات الآتية:

في مرية	يوقنون	أولم يهد	الأرض الجرز
.....	.....	.....	.....

السؤال الثاني:

علل ما يأتي:

- ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ .

• ..... .

السؤال الثالث:

١ - أكمل ما يأتي : -

- وصل أئمة بني إسرائيل إلى اليقين عن طريق ..... .

٢ - في الآيات الكريمة بيان لعظمة قدرة الله تعالى في الأرض .

- وضّح ذلك ..... .

• ..... .

السؤال الرابع:

١ - ما المراد ب ﴿ ٱلْفَتْحِ ﴾؟

• ..... .

٢ - فسّر قوله تعالى :

﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ﴾ ..... .

﴿ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ ..... .

بين يَدَي سورة الأحزاب

سورة الأحزاب سورة عظيمة ، وهي سورة مدنية اشتملت على أحكام وآداب وتوجيهات تربوية للفرد والمجتمع للرجال والنساء ، ولهذا كتب عمر بن الخطاب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ «أن تعلموا سورة النساء والأحزاب والنور» .

وقد افتتح الله تعالى هذه السورة بأمور عظيمة منها : إبطال بعض عادات أهل الجاهلية ، ومشروعية الحجاب وأمور أخرى ، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

مجمل مقاصد وأغراض هذه السورة الكريمة ما يلي:

١ – الأمر بتقوى الله تعالى والنهي عن طاعة الكافرين والمنافقين ، والأمر باتباع وحي الله والأمر بالتوكل على الله تعالى .

٢ – إبطال عادات أهل الجاهلية من التبني والظهار والتبرج ونحو ذلك .

٣ – توصية المؤمنين وإلزامهم بالنبيّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأزواجه أمهات المؤمنين .

٤ – ميثاق النبيين الذي أخذه الله تعالى عليهم .

٥ – بيان قصة غزوة الأحزاب والخندق وما فيها من أحكام وعبر .

٦ – الحديث عن بيوت النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأزواجه ، وما يختص به النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ من أحكام .

٧ – الأمر بذكر الله تعالى وتسبيحه .

٨ – بعض الأحكام المتعلقة بالنساء من الطلاق والحجاب .

٩ – الأمر بالصلاة والسلام على النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ .

١١ – الإخبار عن عاقبة وجزاء من كفر بالله ونافق في دين الله ، ونهي المؤمنين عن أن يكونوا مثلهم .

١٢ – عظم الأمانة .

وأنت أيها الطالب عندما تقرأ هذه السورة الكريمة بتأمل وتدبر يظهر لك الكثير من المعاني الجليلة والحكم البالغة ، فحريٌّ بك أن تدرسها وأنت ذو همة وعزيمة لمعرفة ما فيها من معانٍ سامية .

الدرس السابع عشر

إرشاد وتوجيه

سورة الأحزاب الآيات من (١-٥)

أرشد الله تعالى نبيه ـ ﷺ ـ إلى التقوى والطاعة ، وهذا تنبيه من الأعلى إلى الأدنى ، فإنه ـ تعالى ـ إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا ، فالأولى والأحرى أن يأتمر من دونَهُ بذلك ، وأن تلتزم أمته ـ ﷺ ـ طريق الرشد والهداية .

النص

قال تعالى:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
النبيّ	مشتق من النبأ وهو الخبر ، أو مشتق من النَبْوة وهي المكان المرتفع ، والنبيّ مخبر عن الله تعالى وهو ذو شرف ومكانة عالية .
اتق الله	أمر بتقوى الله والمراد اثبت أيها النبي وداوِمْ واستمر على تقوى الله تعالى .
الكافرين	أصل الكفر في اللغة : الستر والتغطية ، والكافر قد غطى الحق وستره بجحوده وإنكاره له .
المنافقين	أصل النفاق في اللغة مأخوذ من نافقاء الجربوع أو اليربوع ، وهو حيوان معروف يحفر جحراً ويضع له باباً ويجعل في آخره «نافقاء» ، أي مخرجاً عليه قشرة خفيفة من طبقة الأرض العليا بحيث إذا داهمه عدو من باب جحره دفعها برأسه ، والمنافقون يظهرون السلامة في دينهم وأنهم مؤمنون وهم في الباطن كفار .
عليماً حكيماً	العليم والحكيم اسمان من أسماء الله ـ ﷻ ـ الحسنى على وزن فعيل الذي يدل على المبالغة ،والعليم يدل على إثبات صفة العلم لله ـ ﷻ ـ وأنه سبحانه محيط بكل شيء علماً ، والحكيم مشتق من الحكم والحكمة ، فالله سبحانه يحكم ويفصل في الأمور وذو حكمة في أفعاله وأحكامه يضع الأمور في مواضعها .
واتبع ما يوحى إليك من ربك	أي واعمل بما ينزله عليك ربك من وحيه وآيات كتابه ، والوحي في اللغة الإعلام بسرعة وخفاء والمراد به شرعاً الإعلام بالشرع .

خبيراً	الخبير اسم من أسماء الله الحسنى . مشتق من الخبرة وهي الاطلاع على بواطن الأمـور ، والله سبحانه مطلع على بواطن الأمور دقيقها وجليلها صغيرها وكبيرها .
وتوكل على الله	أي فوِّض أمورك إلى الله وحده واعتمد عليه في جميع شؤونك ، والتوكل على الله هو صدق الاعتماد عليه في جلب المنافع ودفع المضار مع بذل الأسباب .
وكفى بالله وكيلاً	أي وكفى بالله حافظاً يوكل إليه جميع الشؤون .
ما جعل الله	ما خلق الله .
في جوفه	في صدره وباطنه .
اللائي تظاهرون منهن	من الظهار وهو أن يقول لزوجته أنت عليَّ كظهر أمي .
أدعياءكم	جمع دَعِيٍّ وهو من يدعي أي يُنسب لغير أبيه .
وهو يهدي السبيل	أي الله تعالى يرشد إلى أقوم طريق وأوضحه .
هو أقسط عند الله	أعدل عند الله في حكمه وشرعه .
ومواليكم	أولياؤكم في الدين ـ مأخوذة من الولاء وهو النصرة .
جناح	الحرَج والإثم ومنه الجنحة .
غفوراً رحيماً	اسمان من أسماء الله الحسنى يدلان على صفة المغفرة لله تعالى وصفة الرحمة له سبحانه .

أسباب النزول:

١ - نزل قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ في أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور عمرو بن سفيان السلمي قدموا المدينة بعد قتال أحد ، فنزلوا على عبدلله بن أُبي ، وقد اعطاهم النبي -ﷺ- الأمان على أن يكلموه ، فقام معهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبي -ﷺ- وعنده عمر بن الخطاب : أرفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل إن لها شفاعة ومنفعة لمن عبدها وندعك وربك فشق على النبي -ﷺ- قولهم ، فقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إئذن لنا يا رسول لله في قتلهم ، فقال : إني اعطيتم الأمان ، فقال عمر أخرجوا في لعنة الله وغضبه فأمر رسول الله -ﷺ- أن يخرجهم من المدينة فأنزل الله عز وجل هذه الآية .

٢ - قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ وقد ذكر غير واحد أن هذه الآية نزلت في جميل بن معمر الفهري رجل من قريش يقال له ذو القلبين ، وأنه كان يزعم أن له قلبين كل منهما بعقل وافر ، فأنزل الله تعالى هذه الآية رداً عليه .

٣ - وقال رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ نزلت في شأن زيد بن حارثة مولى النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ كان قد تبناه النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قبل النبوة ، وكان يقال له «زيد بن محمد» ، فأراد الله أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ كما قال في أثناء السورة : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ .

٤ - وفي صحيح البخاري عن ابن عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما ـ قال : إن زيد بن حارثة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ مولى النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ .

الشرح الإجمالي للآيات:

توجيهات كريمة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ ﴾

ينادي الله ـ ﷻ ـ نبيه ومصطفاه بأفضل الأوصاف وأجل الألقاب وهو النبوة التي رفع الله تعالى بها مكانته ، وهذا تشريف من الله وتكريم لنبينا ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ناداه بهذا الوصف ويأمره بالتقوى التي هي أصل كل خير ، فيا أيها النبي دُمْ على تقوى الله بامتثال أمره واجتناب نهيه ليقتدي بك المؤمنون ولأنهم أحوج إلى ذلك منك . والتقوى كما قال طلق بن حبيب : التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عذاب الله . وأَمْرُ اللهِ لنبيه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بتقوى الله دليل على أن التكاليف البشرية لا تسقط عن أحد مهما بلغت منزلته وسَمَت درجته . ثم نهي الله تعالى نبيه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ والأمة تبعٌ له عن طاعة الكافرين والمنافقين ، لأنهم لا يأمرون إلا بما فيه مفسدة فلا يسمع منهم ولا يستشيرهم في أمر لأنهم أهل شر وفساد .

ثم قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ عليم بعواقب الأمور حكيم سبحانه في أقواله وأفعاله وتدبير شؤون خلقه ، ثم بيّن له الله تعالى الدواء الناجع لجميع ما يعترضه من أمور معضلة ، بأن يتبع ما جاءه من وحي الله تعالى ففيه النجاة لمن تمسك به ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ ﴾ فلما نهاه عن طاعة الكافرين والمنافقين أمره أن يعمل بما جاءه من الله من الهدى والبينات ، ثم أمره الله تعالى أن يفوض أمره إليه في جميع أموره في مكرهه ومنشطه ، في عسره ويسره ، في سفره وإقامته ، في سره وعلانيته .

﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ حافظاً وكافياً فما أعظمها من كفاية قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴾[1]

١ - سورة الطلاق: (٣)

وقد ابتدأ الله تعالى هذه السورة بهذه التوجيهات الكريمة توطئة لما يعقبها من أحكام تتعلق بالنبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وبأهل بيته ، والأمة تبع لنبيها ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إلا فيما اختصه الله تعالى من أحكام .

إبطال بعض عادات الجاهلية:

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ يقول الله ـ ﷻ ـ إنه ما خلق لرجل قلبين في صدره بل قلب واحد فيه إيمان أو فيه كفر ونفاق ، وهذا أمر قد ادعاه العرب في كل من هو أديب يقولون إنه له قلبان فأكذب الله تعالى هذا الإدعاء .

﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ وهذا كذلك إبطال لأمر من أمور الجاهلية حيث إن الواحد منهم إذا قال لزوجته أنت عليَّ كظهر أمي حرمت عليه حرمة مؤبدة ، فجاء هذا الدين الحنيف الحائل عن كل ما فيه عنت ومشقة ، ومنع هذا التأبيد وجعل الحرمة مؤقتة حتى يؤدي حرمة الدين إذ حرَّم ما أحل الله تعالى ، وقد بيّنها الله ـ ﷻ ـ في سورة المجادلة ، وهذا الظهار منكر من القول وزور وكبيرة من كبائر الذنوب ينزه المؤمنون منه ألسنتهم .

وكذلك أبطل الله تعالى عادةً جاهليةً وهي التبني بقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ وقد كان هذا في الجاهلية وفي أول الإسلام يتبنى الرجل ابناً لغيره يعجبه خلقه ونحو ذلك فينسب إليه ، وكانوا يعاملون الأدعياء معاملة الأبناء من كل وجه في الخلوة بالمحارم وغير ذلك . والمعنى أن الله لم يجعل أولاداً لمن تبنوهم لا قدراً ولا شرعاً .

ثم قال الله تعالى ﴿ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ ﴾ يعني أن هذا الظهار والتبني لا تصير به الزوجة أماً ولا الدَّعِيُّ ابناً ، ولا يترتب عليه شيءٌ من أحكام الأمومة والبنوة بل هو مجرد قول باللسان .

وفي قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ « توبيخ وتقريع لهم ،كيف يقولون قولاً ليس له حقيقة !؟

وقال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ يرشد إلى طريق الرشاد الذي فيه نجاتهم .

نسخ التبني:

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾

قال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي انسبوهم لآبائهم فقولوا : فلان بن فلان لأبيه من النسب ، فيجب دعوة الأبناء إلى آبائهم لفظاً وحقيقة ويحرم دعوتهم إلى غير آبائهم ، وفي البخاري عن أبي هريرة –رضي الله عنه– :عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال :«لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر» وقال «من ادّعى إلى غير أبي وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام»[1] . وهذا تشديد وتهديد ووعيد أكيد في التبري من النسب المعلوم ، وإذا دعوتموهم إلى آبائهم فهو ﴿ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي أعدل عند الله ، وجاء التعبير بلفظ أقسط لبيان الغاية في العدل .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾ فإذا جهلتم آباءهم الحقيقيين فادعوهم بأخوة الدين التي تجمعكم بهم ، فإنهم إخوانكم في الدين ومواليكم فيه برباط الأخوة والمحبة والنصرة ، ثم بيّن الله تعالى قاعدة عظيمة من قواعد الدين وهي أن لا إثم ولا حرج فيما نقع فيه من خطأ لم نتعمده وإنما يؤاخذنا الله إذا تعمدت قلوبنا بمعنى إذا فعلناه عن عمد مع عزم القلب وتصميم على الفعل ولهذا قال الله تعالى ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ لمن أخطأ ، ﴿ رَّحِيمًا ﴾ لمن تاب من ذنبه وفي الحديث قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[2] .

١– صحيح البخاري – كتاب الفرائض – باب من ادعى إلى غير أبيه (٦٣٨٥ – ٦٣٨٦) .

٢ – رواه ابن ماجه – سنن ابن ماجه – كتاب الطلاق – باب إن الله تجاوز عن أمتي ٢٠٤٣ .

من هداية الآيات:

١ – تقوى الله تعالى يؤمر بها كل مكلف مهما علت منزلته وارتفعت درجته .

٢ – تعظيم قدر نبينا ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأن له من التكريم والتعظيم ما له .

٣ – ما أُمِرَ به النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَمْرٌ له ولأمته ما لم يدل دليل على اختصاصه به .

٤ – النهي عن طاعة الكافرين والمنافقين لأنهم أصل الشر والفساد .

٥ – مراقبة الله تعالى في الأقوال والأعمال لأنه مطلع على بواطن الأمور .

٦ – تفويض الأمر لله والاعتماد عليه في جلب منفعة ودفع مفسدة من أعظم العبادات .

٧ – إبطال عادات أهل الجاهلية من الظهار والتبني .

٨ – رفع الإثم والحرج عمن أخطأ من غير قصد .

٩ – إثبات أسماء الله الحسنى (العليم ـ الحكيم ـ الخبير ـ الوكيل ـ الغفور ـ الرحيم) .

القيم المستفادة:

١ – تعظيم أحكام الشرع .

٢ – بغض العادات الجاهلية .

٣ – التوكل على الله تعالى .

التقويم

السؤال الأول:

أجب عن الأسئلة الآتية:

أ) وضّح شيئاً من مقاصد وأغراض هذه السورة الكريمة؟

- .....

ب) وضّح معاني المفردات الآتية :

(اتق الله ـ في جوفه ـ أقسط عند الله ـ جناح)

- .....
- .....
- .....
- .....

جـ) ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

١ – أمر الله تعالى نبيه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بالتقوى يعني أُثبت عليها . ( )

٢ – الظهار في الإسلام يعتبر طلاقا لا رجعة فيه . ( )

٣ – إبطال الإسلام لعادة التبني لما فيه من كفر بالنعمة . ( )

٤ – نزلت الآيات لنسخ التبني في شأن زيد بن ثابت . ( )

السؤال الثاني:

أ) ما سبب نزول قوله تعالى : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾؟

- .....
- .....
- .....

ب) اذكر ثلاثاً مما ترشد إليه الآيات :

- .....
- .....
- .....

جـ) الآيات الأولى من السورة جاءت تمهيداً لبيان حكم عظيم – وضّح ذلك :

- .....
- .....

السؤال الثالث:

أ) اختر الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

– في قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ﴾ :

١ – تهديد ووعيد . ٢ – توبيخ وتقريع . ٣ – تحقير وتصغير .

– الظهار في الإسلام :

١ – طلاق لا رجعة فيه . ٢ – ليس حراماً ولكن فيه كفارة . ٣ – منكر وزور وفيه كفارة .

- سورة الأحزاب :

١ - سورة مدنية . ٢ - سورة مكية . ٣ - مدنية ومكية

ب) راجع كتب التفسير المعتمدة كابن كثير ووضّح ما يلي:

١ - معنى الظهار . ٢ - كفارة الظهار . ٣ - علامات النفاق .

- .....
- .....
- .....

جـ) ما الفائدة السلوكية من قوله تعالى ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٢ ﴾ ؟

- .....
- .....
- .....

الدرس الثامن عشر

مقام نبينا ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ

سورة الأحزاب الآيات من (٦-٨)

نبينا محمد ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ له المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة في نفوس المؤمنين ، حيث أوجب الله محبته وجعل ذلك من أصول الإيمان وأن محبته تقدم على كل محبوب من نفس ومال وولد ، وهو خاتم النبيين وسيدهم وأكرمهم على الله ، وهو أفضل أولي العزم من الرسل ، وهو الرحمة المهداة والنعمة المسداة أرسله الله بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً فختم الله به الرسالة وهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة ، وفتح برسالته أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها وتألفت به القلوب بعد شتاتها ، فأقام الله به العوجاء وأوضح به المحجة البيضاء ، وشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع ذكره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، وما من مخلوق إلا ويمتحن بهذا النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ في قبره . نبي بهذه المكانة ورسول بهذه المنزلة لا شك أنه ﴿ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ ومن خصائص نبينا ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أن جعل الله تعالى أزواجه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أمهات المؤمنين في الحرمة والاحترام والتوقير والإعظام .

النص

قال تعالى:

ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٦﴾ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٧﴾ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿٨﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
أولى	أحق وأجدر ـ وأولى اسم تفضيل من الولاية .
وأولوا الأرحام	أولوا بمعنى أصحاب ، والأرحام جمع رحم والرحم هي القرابة سموا بذلك لأنهم خرجوا من رحم واحد أو لأنهم يتراحمون بينهم .
في كتاب الله	في القرآن الكريم وقيل : في اللوح المحفوظ المكتوب به مقادير كل شيء .
إلى أوليائكم	جمع ولي مأخوذ من الولاية وهي بمعنى النصرة والمحبة .
معروفاً	أي بالإحسان إليهم بالنصرة والبر والصلة والوصية وغير ذلك .
مسطوراً	مسطراً مكتوباً ثابتاً لا يُغير ولا يُبدل .
ميثاقهم	الميثاق هو العهد المؤكد والمراد به : تبليغ الرسالة .
غليظاً	قوياً .

وقبل أن نبدأ في ما يتعلق بالآيات الكريمة نود أن يعرف الطالب المسلم حقوق النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ الذي هو النعمة المسداة والرحمة المهداة قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[1] .

وهذه الحقوق إجمالاً هي:

١ – الإيمان به ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ والتصديق برسالته قال تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ ﴾[2] .

٢ – اتباعه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قال الله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3] .

٣ – محبته عليه الصلاة والسلام ـ وسيمر بك بعضُ الأحاديث في ذلك .

٤ – الانتصار له ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وهذا الحق علينا من آكد حقوقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ حياً وميتاً .

٥ – نشر دعوته امتثالاً لأمره ـ عليه الصلاة والسلام ـ «بلغوا عني ولو آية»[4] .

٦ – توقيره ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾[5] .

٧ – الصلاة عليه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ كلما ذكر ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ

---

١ – سورة آل عمران : ١٦٤ .
٢ – سورة التغابن : ٨ .
٣ – سورة النور : ٦٣ .
٤ – رواه البخاري .
٥ – سورة الفتح : ٨ – ٩ .

عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[1] ، وفي الحديث «البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصلي علي»[2] .

٨ – موالاة أوليائه وبغض أعدائه ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

فهذه بعض حقوق النبي المصطفى علينا نحن المسلمين نسأل الله أن يعيننا وإخواننا على القيام بموجبها .

الشرح الإجمالي للآيات:

حق النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ على الأمـة:

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٦﴾ ﴾

قال الله تعالى مبيناً منزلة ومكانة نبينا ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وواجبنا نحوه :

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ بمعنى أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أولى بالمؤمنين وأحق بهم وأجدر من أنفسهم ، فيجب عليهم تقديم محبته على محبتهم لأنفسهم كما قال ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[3] ، وكما قال عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك « فقال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :« الآن يا عمر»[4] .

---

١ – سورة الأحزاب : ٥٦ .

٢ – رواه أحمد – مسند أحمد – مسند أهل البيت رضوان الله عليم أجمعين باب البخيل من ذكرت عنده . . .» ١٧٣٨ .

٣ – صحيح مسلم بشرح النووي – كتاب الإيما ن –المحبة ثلاثة أقسام . .

٤ – صحيح البخاري – كتاب الإيمان والنذور – لو تعلمون ما أعلم لَبكَيتُم كثيراً .

وذلك لأن نبينا ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ هو الذي دلنا على كل خير وحذرنا من كل شر ، وهو الذي تجب علينا طاعته وعدم معصيته ، وطاعته من طاعة الله ومعصيته من معصية الله ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1] وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] مشفق علينا ناصح لنا ، وفي الحديث « ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة»[3] .

ونبينا ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بمنزلة الوالد لنا يعلمنا ويرشدنا ويحذرنا ، وأزواجه أمهات لنا ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ وهذه الأمومة من حيث وجوب أداء حقوقهن من الاحترام والإكرام والتوقير والإعظام ، ومحبتهن والدفاع عنهن وعدم أذيتهن وبغضهن ، ولهذا كان من المقرر عند أهل العلم أن من قذف زوجة من زوجات نبينا ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بالفاحشة فإنه يكفر بالله ، لأنه طعن في مقام النبي الكريم عليه الصلاة والسلام . وليس أمومتهن للمؤمنين من حيث الميراث ولا من حيث جواز خلوتهم بهن ولا كونهم محارم لهن وهذا بالإجماع .

الميراث لذوي القرابة من المسلمين:

ثم قال الله تعالى مبيناً أن ذوي القرابة من المسلمين بعضهم أحق بميراث بعض في كتاب الله وشرعه من الإرث بالإيمان والهجرة ، وكان المسلمون في أول الإسلام يتوارثون بالهجرة والإيمان دون الرحم ، ثم نسخ ذلك بآية المواريث ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾ إلا إذا كان منكم إعطاء أوليائكم في الدين بالمعروف من النصر والصلة والإحسان والوصية ، فإن هذا عمل صالح وبر وإحسان ولهذا قال تعالى : ﴿ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ أي إن هذا الحكم مقدر مكتوب في اللوح المحفوظ فيجب عليكم العمل به .

١- سورة النساء : (٦٥) .

٢ - سورة التوبة : (١٢٨) .

٣ - رواه البخاري - صحيح البخاري - كتاب الاستقراض وأداء الديون ، الحجر والتفليس - باب من ترك مالاً فلورثته ومن ترك كُلا فإلينا ٢٢٦٩ .

العهد والميثاق من الأنبياء:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾

يقول الله تعالى مخبراً عن جميع الأنبياء والرسل- عليهم السلام - وخص منهم أولي العزم من الرسل أنه أخذ عليهم العهد المؤكد والميثاق القوي في إقامة دين الله تعالى وإبلاغ رسالته والتعاون والتناصر والاتفاق .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ ﴾ أي واذكر يا محمد حين أخذنا من النبيين العهد المؤكد بتبليغ الرسالة ، ﴿ وَأَخَذْنَا ﴾ منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ﴿ مِّيثَـٰقًا ﴾ عهداً مؤكداً ﴿ غَلِيظًا ﴾ قوياً بتبليغ الرسالة وأداء الأمانة وأن يصدق بعضهم بعضاً .

وهذا العهد والميثاق أخذه الله من الرسل - عليهم السلام - ليسأل المرسلين عما أجابتهم به أممهم ، فيجزي الله المؤمنين الجنة وأعد للكافرين يوم القيامة عذاباً شديداً في جهنم ولهذا قال الله تعالى : ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾ موجعاً .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ فبدأ في هذه الآية بالخاتِم لشرفه ـ صلوات الله عليه ـ ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم .

من هداية الآيات:

١ - كون النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أحب إلى العبد من نفسه .

٢ - وجوب طاعة النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ووجوب الانقياد له .

٣ - وجوب احترام أمهات المؤمنين زوجات النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأن من سبهم فقد باء بالخسران .

٤ – عظم مقام التوحيد والرسالات حيث أخذ الله تعالى على ذلك الميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين .

٥ – أن من وحّد الله ـ ﷻ ـ وأطاع الرسول –ﷺ– دخل الجنة ومن أشرك وعصى الرسول ـ ﷺ ـ دخل النار .

القيم المستفادة:

– تعظيم النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ .

– احترام زوجاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

– تعظيم الرسالات .

التقويم

السؤال الأول:

- أجب عن الأسئلة الآتية:

أ) وضّح معنى قوله تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ .

- ..... .
- ..... .

ب) وضّح معاني المفردات الآتية :

(أولى – أُولُو الْأَرْحَامِ – مسطوراً – ميثاقهم – غليظاً) .

- ....
- ....
- ....

السؤال الثاني:

أكمل العبارات التالية بما يناسبها:

- تكون أولوية النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ من أنفسهم بـ : .....

.....

- كان التوارث في صدر الإسلام بـ .....و .....

ثم نسخ بـ .....من المسلمين .

- أولوا العزم من الرسل خمسة نبينا محمد ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ و .....

و .....و .....و .....

السؤال الثالث:

- ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

- أمومة زوجات النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ للمؤمنين تجيز الخلوة بهن . ( )

- الميثاق الذي أخذه الله تعالى على النبيين – عليهم السلام – هو أن يبلغوا الرسالة ( )

- الأنبياء – عليهم السلام – جميعاً هم أولوا العزم . ( )

الدرس التاسع عشر

غزوة الأحزاب (١)

سورة الأحزاب الآيات من (٩-١٧)

وقعت غزوة الأحزاب المعروفة باسم «غزوة الخندق» في شوال من السنة الخامسة ، وكان سبب هذه الغزوة أن النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لما أجلى يهود بني النضير في السنة الرابعة عن المدينة لمحاولتهم قتل النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، خرج نفر من أشراف اليهود إلى مكة وأخذوا يحرِّضون قريشاً على غزو النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ويؤلبونهم عليه ، ووعدوهم بنصرتهم على رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فأجابتهم قريش واجتمعوا معهم على قتاله ، ثم خرجوا فأتوا غطفان وبني سليم فدعوهم فاستجابوا لهم ثم طافوا على قبائل العرب يدعونهم إلى قتال رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ .

فخرجت قريش في أربعة آلاف مقاتل ، ووافتهم بنو سليم بمر الظهران وهم سبعمئة ، وخرجت معهم بنو أسد وخرجت فزارة وهم ألف ، وخرجت أشجع وهم أربعمئة ، وخرجت بنو مُرَّة وهم أربعمئة أيضاً ، وكان جميع من وافى الخندق من القبائل عشرة آلاف وهم الأحزاب .

فلما بلغ رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وصولهم من مكة ندب الناس فأشار سلمان الفارسي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ بحفر خندق يحول بين العدو وبين المدينة ، فأمر به رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فبادر المسلمون إلى حفره واشترك رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ في حفره بنفسه ، وظهرت أثناء حفر الخندق بعض الآيات العظيمة من آيات وأعلام النبوة . وأمّن النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مكاناً للنساء والصبيان حفظاً ورعاية لهم في المدينة .

ودخل مع المشركين في حرب رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يهودُ بني قريظة بعد أن

نقضوا العهد ، واشتد البلاء بالمسلمين وظهر النفاق ، وأقام المشركون محاصرين رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ شهراً ولم يكن التحام بين الفريقين لأجل ما حال الله به من الخندق بينهم وبين المشركين ، إلا أنه حصل مبارزة بين علي بن أبي طالب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وعمرو بن وُدٍّ فبارزه علي فقتله ، فأصبحوا فجمعوا كتيبة عظيمة فيها خالد بن الوليد وقاتلوا إلى الليل ولم يصلِّ رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يومئذ ظهرًا ولا عصرًا فقال : «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ، ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً قال : ثم صلاها بين العشاءين بين المغرب والعشاء[1] .

ثم إن الله تعالى صنع أمرًا من عنده خذل به العدو وفرّق به جموعهم ، وذلك أن نعيم بن مسعود كان قد أسلم ولم يعلم المشركون ولا اليهود بإسلامه فمشى بين قريش وقريظة فخذَّل بينهم . ثم هبت ريح شديدة فقال أبو سفيان لأصحابه إنكم لستم بدار مقام قد هلك الخف والحافر واختلفت قريظة ، ولقينا من الريح ما ترون فارتحلوا فإني مرتحل ، وقتل من المشركين يومئذ ثلاثة ومن المسلمين ستة .

وفي هذه الآيات تذكير من الله بنعمه على عباده المؤمنين ليشكروه بالانقياد والطاعة له سبحانه ولرسوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ .

١- مسند ـ أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنّة - مسند الخلفاء الراشدين باب «شغلونا عن الصلاة الوسطى . .» ٩١٣

النص

قال تعالى:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ﴿١٤﴾ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٦﴾ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
جنوداً	الجند هم العسكر والمراد بهم الأحزاب . والجنود التي لم يروها هي الملائكة .
من فوقكم	من أعلى الوادي من جهة المشرق .
ومن أسفل منكم	من أسفل الوادي من جهة المغرب .

زاغت الأبصار	مالت وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة ودهشة .
الحناجر	جمع حنجرة وهي منتهى الحلقوم .
ابتُليَ	اختبروا ، والابتلاء الاختبار والامتحان .
وزلزلوا	اضطربوا اضطرابًا شديدًا من الفزع وكثرة العدو .
والذين في قلوبهم مرض	في قلوبهم ضعف اعتقاد ، وشك ونفاق .
إلا غرورًا	باطلاً لا ينفع .
يثرب	اسم المدنية النبوية قديماً وفي تسميتهم المدينة بيثرب إشارة إلى سوء اعتقاد .
لا مقام لكم	لا إقامة لكم ها هنا .
إن بيوتنا عورة	غير حصينة يخشى عليها من السرّاق لخلوها من الرجال .
إن يريدون إلا فراراً	هرباً من القتال .
من أقطارها	جمع قطر وهو الجانب والناحية ، والمراد نواحي المدينة .
ثم سئلوا الفتنة	والمراد بالفتنة هنا : الردة ومقاتلة المؤمنين .
لآتوها	لأعطوها ، الإيتاء الإعطاء .
وما تلبَّثوا بها	ما أقاموا بالمدينة .
الأدبار	جمع دبر وهو ما قابل القبل ويطلق على الظهر ، والمراد به الهزيمة والفرار من الصف .

الشرح الإجمالي للآيات:

تذكير المؤمنين بنعمة الله عليهم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ يا من رسَخ الإيمان في قلوبكم وصدقته أعمالكم ، ﴿ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ في المدينة أيام غزوة الأحزاب ، حين اجتمع عليكم ﴿ جُنُودٞ ﴾ عساكر المشركين من خارج المدينة واليهود والمنافقون منها وما حولها فأحاطوا بكم ، ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا ﴾ شديدة اقتلعت خيامهم ورمت قدورهم ، ﴿ وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ ﴾ ملائكة من السماء لم تروها أنتم فوقع الرعب في قلوبهم وتزعزع أمرهم ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ لا يخفى عليه شيء .

حال المؤمنين في تلك الغزوة:

﴿ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١ ﴾

شرع الله تعالى في بيان ما أصاب المؤمنين من الفزع الشديد عندما أحاطت بهم الأحزاب ﴿ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ ﴾ من جهة الشرق ﴿ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ ﴾ ومن جهة الغرب ، ﴿ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ انحرفت وذهبت هنا وهناك حيرة ودهشة ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ ﴾ من شدة الرعب وغلب اليأس كأن القلوب قد خرجت عن أماكنها حتى كادت تبلغ الحناجر ، وهذا تمثيل لشدة ما لاقوه من الهول .

﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾ أي الظنون السيئة أن الله ـ ﷻ ـ لا ينصر دينه ولا يتم كلمته ، ولكن الله عصم المؤمنين وأضل المنافقين حيث نطقوا ما أضمرته قلوبهم من العقيدة الفاسدة في ربهم ، ولهذا قالوا : ﴿ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴾ .

﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ أي في ذلك الوقت وفي ذلكم المكان كان الابتلاء والامتحان للمؤمنين شاقًا عصيباً حتى لكأن الأرض تزلزلت من تحتهم ، ولكن الله ـ ﷻ ـ له في ذلك الحكمة البالغة أن يميز المؤمن الصادق من الفاجر المنافق .

مقالة المنافقين والرد عليها:

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۛ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾

المنافقون في كل مكان وزمان أعداء للإسلام وأهله يكيدون له ويؤلبون عليه ، فهم بهذا أخطر أعداء الإسلام لاندساسهم بين المسلمين وخفاء أمرهم على كثير من الناس .

وفي تلك الغزوة كان لهم موقف مخذِّل يدل على فساد نفوسهم وضعف عقيدتهم وسوء نواياهم ، حيث لم يصبروا ويثبتوا حتى قالوا كما أخبر الله عنهم ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ يقولون إن ما وعدنا الله ورسوله من النصر والتمكين إلا باطلاً من القول وغروراً فلا تصدقوه . وهذا فريق منهم اكتفوا بهذه المقالة الخبيثة . وفريق آخر من المنافقين حرضوا المجاهدين على ترك الصفوف والعودة إلى المدينة بحجة أن بيوتهم ليست حصينة وهي معرَّضة للخطر ، ولهذا قال الله تعالى عنهم ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ ﴾ أي يا أهل المدينة لا مكان لكم هنا مع النبي مرابطين فارجعوا إلى بيوتكم وأهليكم لأنها معرَّضة للخطر .

ثم ذكر الله تعالى فريقاً من المنافقين بأنهم ﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ ﴾ يستأذنون للانصراف من الغزوة بحجة أن بيوتهم خاوية ليست حصينة ونخشى عليها من السراق واللصوص .

ثم رد الله تعالى على هؤلاء المنافقين وكشف حقيقتهم بأنهم ما أرادوا بهذا الاستئذان إلا الهرب من القتال لحبهم الدنيا وكراهيتهم الموت . قال الله تعالى :

﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ ليس الأمر كما قالوا بل بيوتهم محصنة ولا خطر عليها ، ولكنهم يريدون الفرار والهرب من القتال والأمان على نفوسهم من القتل .

كشف حقيقة المنافقين:

﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) ﴾

ثم زاد الله تعالى في فضحهم بأنهم لو حدث ودخل عليهم الأعداء من جميع نواحي المدينة ثم طلبوا منهم أن يكفروا ويرتدوا عن الإسلام لما تأخروا عن ذلك ، هذا لأن الإيمان لم يثبت في قلوبهم ولم يذوقوا حلاوته ، بل استلذوا الكفر وأبغضوا الإسلام ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) ﴾ ما أقاموا في المدينة إلا يسيراً ويرتدُّون ، بل يلحقون بالمشركين ويرتدون عن الإسلام ، والحال من هؤلاء المنافقين أنهم أعطوا العهود والمواثيق قبل غزوة الأحزاب أن لا يفروا ولا ينهزموا أمام الأعداء ثم نقضوا العهد ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ ﴾ والله ـ ﷻ ـ يوم القيامة يسألهم عن هذا العهد والميثاق لأنه عظيم غليظ ولهذا قال الله تعالى ﴿ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ .

ثم أسهب الله ـ ﷻ ـ في الرد على هؤلاء لعظم خطرهم ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ﴾ فهذا الهرب الذي فعلتموه لن يطيل أعماركم ولن يدفع عنكم الموت أبدًا ، وهذا الفرار الذي فررتموه لا يجعلكم تمتعون في الدنيا وزهرتها إلا زمناً يسيرًا لأن الموت آت وهو مآل كل حي ، ومن لم يمت بالسيف مات بغيره .

وزاد الله تعالى في الرد عليهم بقوله آمراً نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ أي لا أحد يقدر على أن يحميكم إن أراد الله بكم هلاكاً ، ولا أحد يقدر على أن يمنع عنكم رحمة الله تعالى بكم إن قدَّر حياتكم وبقاءكم . والاستفهام في قوله ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يراد منه النفي أي : لا أحد يعصمكم مما أراد الله تعالى بكم ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ يتولاهم فيجلب لهم النفع ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ أي ينصرهم فيدفع عنهم المضار فلم يمتثلوا طاعة الله المنفرد بالأمور كلها الذي نفذت مشيئته ومضى قدره ولم ينفع مع ترك ولايته ونصرته ولياً ولا ناصر .

من هداية الآيات:

١ – نداء الله تعالى لعباده بأشرف الصفات وهو الإيمان .

٢ – تذكير المؤمنين بنعم الله عليهم ليزدادوا شكراً لربهم وانقيادًا له .

٣ – بيان أحداث غزوة الخندق أو الأحزاب بياناً واضحاً وعرضاً صادقاً .

٤ – ابتلاء المؤمنين في الدنيا تمحيص لهم ورفع لدرجاتهم .

٥ – حسن الظن بالله تعالى علامة أهل الإيمان .

٦ – خطر النفاق وأهله على المجتمع المسلم .

٧ – التحذير من أهل النفاق وأنهم سبب الهزائم .

٨ – إثبات اسم من أسماء الله تعالى الحسنى «البصير» المتضمن لصفة البصر .

القيم المستفادة:

١ – شكر النعم .

٢ – بغض النفاق وأهله .

٣ – التوكل على الله تعالى .

التقويم

السؤال الأول:

أ) أكمل العبارات الآتية بما يناسبها:

- كانت غزوة الأحزاب أو الخندق في سنة ..... من الهجرة .
- عدد جيش الأحزاب إجمالاً يبلغ ..... .
- عدد من قتل من المشركين ..... ومن المسلمين ..... .
- بارز علي بن أبي طالب ..... فقتله .

ب) علّل لما يأتي:

- تسمية غزوة الأحزاب أو الخندق بهذا الاسم .

• ..... .

• ..... .

- أسهب الله تعالى في الآيات في الرد على المنافقين .

• ..... .

السؤال الثاني:

أ) استخرج من الآيات ما يدل على الحقائق الآتية:

- عظم البلاء على المؤمنين حتى لكأن الأرض تتحرك من تحت أقدامهم .

• .....

- سرعة أهل النفاق في الاستجابة للمشركين إذا أحاطوا بالمدينة ودخلوها .

• .....

ب) وضّح معاني الكلمات الآتية:

(زاغت ـ الحناجر ـ غروراً ـ يثرب ـ فرارًا ـ من أقطارها) .

• ....

• ....

• ....

السؤال الثالث:

أجب عن الأسئلة الآتية:

أ) ما الغرض من تذكير الله تعالى المؤمنين بنعمته عليهم؟

• .....

ب) من الذي أشار على النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بحفر الخندق؟

. . . . . .

. . . . . .

جـ)كان للصحابي الجليل نعيم بن مسعود ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ في هذه الغزوة موقف عظيم . وضّح ذلك .

- . . . . . .
- . . . . . .
- . . . . . .
- . . . . . .
- . . . . . .
- . . . . . .

الدرس العشرون

غزوة الأحزاب (٢)

سورة الأحزاب الآيات من (١٨-٢٧)

لا يشك مسلم في خطر النفاق وأهله على المجتمع المسلم مما هم عليه من العقائد الفاسدة والأفكار الضالة المنحرفة ، وهؤلاء المنافقون أشد خطرًا من أعداءِ الإسلام الظاهرين من المشركين واليهود والنصارى وغيرهم من ملل الكفر ، ولذلك قال الله تعالى عنهم ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾[1] .

وفي الآيات التالية يكمل الله ـ ﷻ ـ ما أخبر به من شأن المنافقين في غزوة الأحزاب أو الخندق وما قاموا به من محاولة إضعاف جيش المسلمين ، وما ذلك إلا لامتلاءِ قلوبهم من بغض الإسلام والكيد له ولأهله ، وفي المقابل ما كان عليه أهل الإيمان والطاعة من موقف عظيم يُغبَطُون عليه متأسين بالنبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ويصدِّقون بوعد الله تعالى ، فجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فهم بذلك يضربون أروع الأمثلة في حراسةِ الدين وحماية العقيدة .

١ – سورة المنافقون : ٤ .

النص

قال تعالى:

قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
المعوّقين	المثبطين الذين يصدون المسلمين عن القتال مع المؤمنين يُقال : عاقه أي منعه .
هلمَّ إلينا	أقبل إلينا .
البأس	القتال .
أشحة عليكم	جمع شحيح أي بخلاء والمراد أنهم بخلاء بالمعونة لكم من حفر أو نفقة في سبيل الله .
سلقوكم	أذلوكم أو ضرُّوكم يقال : سلقه بالكلام : آذاه ، وهو شدة القول باللسان .
بألسنةٍ حِداد	سليطة ووقعها على السمع كالحديد في الشدة .
بادون في الأعراب	جمع بادٍ وهو ساكن البادية وهو ضد الحاضر ، جمع أعرابي وهم ساكنيُ البادية .
عن أنبائكم	عن أخباركم ، والنبأ الخبر العظيم .
أسوة	قدوة .
قضى نحبه	مات ، والنحب : النذر ، ووقع قول العرب : قضى نحبه عبارة عن الموت لأن كل حي لا بد له من أن يموت فكأنه نذر لازم في رقبته .
بغيظهم	الغيظ أشد الغضب .
عزيزًا	هو الذي لا يغلب . وتأتي العزة بمعنى القوة والمنعة .

ظاهروهم	عاونوهم .
من أهل الكتاب	هم اليهود والنصارى والمراد بهم هنا يهود بني قريظة .
من صياصيهم	جمع صيصية وهو الحصن وهو كل ما يمتنع به والمراد حصونهم التي يتحصنون بها .
وقذف في قلوبهم الرعب	ألقى الرعب في قلوبهم والرعب هو الخوف الشديد .

الشرح الإجمالي للآيات:

بعضُ صفات المنافقين:

﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ ﴾

ما زال سياق الآيات الكريمة في بيان أحداث غزوة الأحزاب أو الخندق وما كان من شأن المنافقين قال الله تعالى ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ ﴾ يخبر الله تعالى عن علمه بالمثبطين عن الجهاد في سبيل الله ، والقائلين لأصحابهم تعالوا وانضموا إلينا واتركوا محمدًا فلا تشهدوا معه قتالاً فإنا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه ، قال الله تعالى مخبرًا عن حالهم ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي وهم مع تخذيلهم لا يأتون القتال إلا زمناً قليلاً أو نادراً ، وحضورهم القليل رياءً وسمعة وخوف الفضيحة ، ثم زاد الله تعالى في وصفهم بأنهم ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ ﴾ بخلاء عليكم أيها المؤمنون بالمال والنفس والجهد والمودة لما في نفوسهم من

العداوة والحقد حبًا في الدنيا وكراهية للموت .

﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ فإذا حضر القتال خافوا الهلاك ورأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم لذهاب عقولهم خوفاً من القتل وفراراً منه كدوران عين من حضره الموت ، ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ فإذا انتهت الحرب وذهب الرعب عنهم آذوكم بألسنة سليطة حادة كوقع الحديد بأنهم أهل حربٍ وقتالٍ وشجاعةٍ .

﴿ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ أي بخلاء به ، بمعنى أنهم عند قسمة الغنائم أشح قوم ، يقولون : أعطونا أعطونا قد شهدنا معكم . فهم بهذا قد جمعوا بين الجبن والكذب .

ولكن هؤلاء القوم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ ﴾ لم يدخل الإيمانُ قلوبهم ولم يذوقوا له ذواقاً ﴿ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أي أبطل الله أعمالهم وأذهبها ، وهذا الإحباط والإبطال سهل هين على الله تعالى ولهذا قال ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ .

وتتميماً لما عليه أهل النفاق وما هم فيه من الخوف والفزع والرعب ، يظنون أن الأعداء لم ينصرفوا من المدينة ولهذا قال الله تعالى ﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ﴾ وهم مع شدة خوفهم وهلعهم إن جاء الأعداء كرة ثانية تمنوا وأحبوا أنهم من سكان البادية ويتجسسون أخباركم من بعيد ، ولهذا قال الله تعالى ﴿ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ﴾ ولو قُدِّر أنهم معكم في القتال ما قاتلوا معكم إلا قليلاً لشدة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ هو القدوة الحسنة:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

ثم قال الله تعالى مبيناً أن نبينا ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ هو الأسوة الحسنة لجميع المؤمنين ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ لقد كان

لكم أيها المؤمنون في أقوال رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها فالزموا سنته ، فمن يتمسك بها ويقتدي بها هو من كان يرجو الله واليوم الآخر وأكثر من ذكر الله تعالى . قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ «هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ في أقواله وأفعاله وأحواله ، ولهذا أمر تعالى الناس بالتأسي بالنبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ دائماً إلى يوم الدين» .

موقف المؤمنين في تلك الغزوة:

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾

ثم أخبر الله تعالى عن عباده المؤمنين الصادقين في أقوالهم وأعمالهم المصدقين لوعد الله ورسوله ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ من الابتلاء والامتحان الذي يعقبه النصر القريب ولهذا قال تعالى ﴿ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ ، وهذه الأعداد الكثيرة من جند المشركين ما زادت المؤمنين إلا إيماناً بالله وتسليماً وانقيادًا لطاعته ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ وفي هذه الآية دليل على أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

ولما ذكر الله تعالى في الآيات السابقة عن المنافقين أنهم نقضوا العهد ، وصف هنا المؤمنين بأنهم استمروا على العهد والميثاق ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ ﴾ رجال أوفوا بعهودهم مع الله وصبروا على البأساء والضراءِ وحين البأس ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ﴾ مات واستشهد في سبيل الله ،﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ ﴾ إحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة .

﴿ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ ما غيرّوا عهد الله ـ ﷻ ـ ولا نقضوه ولا بدلوه .

روى مسلم عن أنس بن مالك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال : «أنس بن النضر تغيب عن قتال بدر فقال : تغيبت عن أول مشهد شهده النبي ـ ﷺ ـ لئن رأيت قتالاً ليرين الله ما أصنع ، فلماكان يوم أحد انهزم أصحاب النبي ـ ﷺ ـ أقبل أنس فرأى سعد بن معاذ منهزماً فقال : يا أبا عمرو أين أين؟ قم فالذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة نحو أحد ،فحمل حتى قتل فقال سعد بن معاذ فوالذي نفسي بيده ما أستطعت ما أستطاع فقالت أخته : فما عرفت أخي إلا ببنانه ولقد كانت فيه بضع وثمانون ضربة من بين ضربه بسيف ورميه بسهم وطعنه برمح فأنزل الله عزل وجل فيه ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[1] ثم قال الله تعالى مبيّناً حكمته من تلك الغزوة ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ ليثبت الله أهل الصدق وهم المؤمنون بسبب صدقهم وبلائهم ، ويعذب المنافقين إن شاء تعذيبهم بأن لا يوفقهم للتوبة النصوح قبل الموت فيموتوا على الكفر فيستوجبوا النار ، أو يتوب عليهم بأن يوفقهم للتوبة والإنابة إلى الله بالإيمان والعمل الصالح .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ يتجاوز عن ذنوب من تاب إليه وأناب ﴿ رَّحِيمًا ﴾ بأن يوفقهم للتوبة النصوح التي بها نجاتهم وسعادتهم .

نهاية الغزوة:

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾

قال الله تعالى عما أصاب الأحزاب الذين تحزبوا لحرب رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بما أرسل عليهم من الريح والملائكة ففرّق شملهم ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ ﴾ ردّهم خائبين خاسرين مغتاظين لم ينالوا خيرًا في الدنيا ولا في الآخرة ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ ﴾ بما أيدهم به من الأسباب من الريح والملائكة والرعب الذي ألقاه في قلوب المشركين .

١ – مسند أحمد – باقي مسند المكثرين – رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ١٣٢٤٦ .

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ قويًا لا يُغالَب عزيزًا في ملكه وسلطانه سبحانه ، وأعز الله ـ ﷻ ـ الإسلام وأهله وصدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . وبعد أن انصرف الأحزاب عن المدينة قال النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :«يوم الأحزاب الآن نغزوهم ولا يغزوننا»[1] . فلم تفز قريش بعد ذلك وكان رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ هو يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله تعالى عليه مكة .

ما حلَّ بيهود بني قريظة:

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾

بعد أن نقض يهود بني قريظة العهد الذي أبرموه مع النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وذلك لإعانتهم المشركين في غزوة الأحزاب في قتال المسلمين قال الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾ أي وأنزل الله تعالى يهود بني قريظة الذين ساعدوا المشركين من حصونهم التي يتحصنون بها ويمتنعون بها ، وألقى الله ـ ﷻ ـ في قلوبهم الخوف الشديد الذي زلزلهم فَهُزِمُوا ، وصرتم أيها المؤمنون تقتلون فريقًا منهم وتأسرون آخرين منهم .

ثم قال الله تعالى بأنه ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ ﴾ ملَّككم إياها وكذلك ﴿ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ لا يعجزه شيء . وفي هذه الآية إشارة إلى فتوحات بعد هذا الفتح .

وحاصل ما حل بيهود بني قريظة أنَّ النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ خرج في ثلاثة آلاف لمعاقبتهم فحاصرهم وضيَّق عليهم فطلبوا من النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ النزول على حكم سعد بن معاذ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فحكم فيهم بأن يقتل الرجالُ القادرون على القتال ، وتُسْبى النساءُ والذرية وتقسمَّ أموالهم ، فضربت أعناقُ الرجال إلا من استثنى .

---

١ – رواه البخاري . – صحيح البخاري – كتاب المغازي – باب غزوة الخندق – ٣٨٨٣–

وفيما تقدم أيها الطالب النبيل من عرض موجز حول غزوة الأحزاب أو الخندق لكنه مشحونٌ بالفوائد والعبر والدروس ، فنأمل منك أن تتدبرها وتستنبطها ، وهذا من الخير الذي نرجوه لك .

من هداية الآيات:

١ – بيانُ ما عليه أهل النفاق من صفات سيئة من الشح والجبن والتحبيط والتجسس والجدال بالباطل .

٢ – النفاق محبط للأعمال .

٣ – وجوب الاقتداء بالنبي ـ ﷺ ـ في القول والعمل والشمائل .

٤ – الثناء العاطر من الله تعالى للمؤمنين الصادقين المصدقين بوعد الله تعالى الصابرين عند اللقاء .

٥ – رحمة الله تعالى بالمؤمنين إذ أيدهم بأسباب عظيمة لدحر أعداءِ الله ـ ﷻ ـ ورسوله ـ ﷺ ـ .

٦ – بيانُ عاقبة من غدر ونقض العهد بأن انتقم الله منه ـ ﷻ ـ وهي صفة ملازمة لليهود .

٧ – إثبات أسماء الله الحسنى «الغفور» المتضمن للمغفرة ، «الرحيم» المتضمن للرحمة «القوي» المتضمن للقوة ، «العزيز» المتضمن للعزة ، «القدير» المتضمن للقدرة .

٨ – أن الأرض يرثها عباد الله المتقين .

القيم المستفادة:

١ – بغض ملل الكفر .

٢ – التأسي بالنبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ .

٣ – حب الله ـ ﷻ ـ ورسوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ .

٤ – موالاةُ المؤمنين .

التقويم

السؤال الأول:

أ) وضّح معاني المفردات الآتية:

(المعوقين ، هلم إلينا ، البأس ، أشحة ، بألسنة حداد ، الأعراب ، صياصيهم) .

- ..... .
- ..... .
- ..... .
- ..... .

ب) مَنِ المراد في قوله تعالى: ﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ﴾؟

- ..... .

السؤال الثاني:

أ) استخرج من الآيات ما يدل على الحقائق التالية:

– يتمنى المنافقون أنهم من سكان البادية وذلك لشدة فزعهم .

- ..... .
- ..... .

- الإيمان يزيد وينقص .

- .....

- .....

- بيان الحكمة من غزوة الأحزاب .

- .....

- .....

ب) تحدثت الآيات عن بعض صفات المنافقين وضّح ذلك.

- .....

- .....

السؤال الثالث:

أ) ارجع إلى بعض كتب الحديث أو السيرة ولخِّص ما يتعلق منها بغزوة الأحزاب.

- .....

- .....

- .....

- .....

- .....

- .....

ب) استخرج من الآيات بعض الفوائد والأحكام.

- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....

الدرس الحادي والعشرون

زوجات النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وتوجيهات كريمة

سورة الأحزاب الآيات من (٢٨-٣٥)

من خصائص نبينا محمد ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أن جعل الله ـ ﷻ ـ زوجات نبينا أمهاتٍ لنا في الحرمة والاحترام والإكرام والتوقير والإعظام .

ومن عقيدتنا موالاة أزواج النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ والترضي عنهن والذب عن أعراضهن وأن لا يقال فيهن سوءًا .

وزوجاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ هُنَّ الطيبات الطاهرات اللاتي عاضدن رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ونقَلْن عنه العلم .

ومن فضل الله عليهن أن النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لما خيرَّهنَّ كما أمره ربُّه اخترنه ـ عليه الصلاة والسلام ، فهن محسنات صالحات قانتات عابدات يردن الله ورسوله والدار الآخرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُن ـ .

وهذه التوجيهات التي معنا لأمهات المؤمنين زوجات سيد المرسلين أوامر ونواهي لهن ونساء الأمة تبع لهن . فعلى المرأة المسلمة أن تقتدي بهن في العلم والعمل .

وأمهات المؤمنين هُنَّ بإيجاز:

١ – خديجة بنت خويلد ، أول زوجاته ولم يتزوج عليها حتى ماتت وجميع أولاده منها إلا إبراهيم .

٢ – سودة بنت زمعة القرشية تزوجها بعد خديجة .

٣ – عائشة بنت أبي بكر أم عبد الله الصدّيقة بنت الصدّيق التي برأها الله من فوق سبع سماوات مما رماها به أهل الإفك ، فمن رماها بشيء بعد ذلك فهو كافر لتكذيبه كلام الله تعالى .

٤ – حفصة بنت عمر بن الخطاب .

٥ – زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت تلقب بأم المساكين .

٦ – أم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية .

٧ – زينب بنت جحش وهي ابنة عمته أميمة وفيها نزلت آيات من سورة الأحزاب وستأتي .

٨ – جويرية بنت الحارث من بني المصطلق .

٩ – أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان تزوجها ببلاد الحبشة مهاجرة وأصدقها عنه النجاشي .

١٠ – صفية بنت حيي من بني النضير من ولد هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام فهي ابنة نبي وزوجة نبي .

١١ – ميمونة بنت الحارث الهلالية وهي آخر من تزوج بها .

النص

قال تعالى:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
الحياة الدنيا	هي الدار التي جعلها الله للحياة وسميت بذلك من الدنو وهو القُرب أي لقربها فهي قبل الآخرة . وقيل من الدناءة لأنها لا قيمة لها بمقابل الآخرة .
وزينتها	كل ما يتزين به في الحياة الدنيا من الأموال والأزواج والأولاد والقصور .
أمتعكن	من المتعة وهي كل ما يتمتع به من دراهم أو طعام أو أثاث أو لباس أو غير ذلك تُعطى للمطلقة جبراً لخاطرها وتطييبًا لقلبها .
وأسرحكن	أطلقكن وأفارقكن . وأصل التسريح : الإرسال والتخلية .
سراحًا جميلاً	طلاقاً جميلاً من غير مغاضبة ولا معاداة ولا توبيخ ولا عتاب ولا ضرر .
أعد	هيأ وجهز .
للمحسنات	من الإحسان وهو الإتقان والمراد أحسن في عبادة الله تعالى إخلاصاً له ومتابعة للرسول ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ .
أجرًا عظيماً	ثوابًا لا يقدر قدره إلا الله وهو الجنة .
بفاحشة مبينة	الفاحشة : ما فحش وتناهى في القبح من القول والعمل ، والمراد به هنا : بذاءة اللسان وقيل : الزنى . وقيل : يعم ذلك كله ، مبينة : ظاهرة .
ضعفين	مثلين ومرتين .
ومن يقنت	القنوت دوام الطاعة

فلا تخضعن بالقول	الخضوع بالقول بمعنى : لين الكلام وترقيقه وترخيمه .
في قلبه مرض	مرض شهوة الفرج .
قولاً معروفاً	قولاً لا يستنكر شرعاً ولا عُرفًا .
وقَرْن في بيوتكن	الْزَمْن بيوتكن . وقرن مأخوذ من القرار وهو المكث والبقاء .
ولا تبرجن	تتكشفن ، والتبرج التكشف يقال : سفينة بارج أي مكشوفة .
الجاهلية	مصدر مضاف إلى الجاهلية وهي ما قبل الإسلام .
الرجس	النجس والمراد هنا : الشرك والكفر والمعاصي .
والحكمة	المراد بها هنا السنة النبوية .
لطيفًا	اسم من أسماء الله تعالى الحسنى على وزن فعيل يدل على سعة لطفه سبحانه . واللطيف بمعنى المطلع على أسرار الأمور ودقائقها ويأتي بمعنى المحسن إلى عباده بالتيسير عليهم والتخفيف عنهم .

أسباب النزول:

روى مسلم وغيره عن جابر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما ـ قال : أقبل أبو بكر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يستأذن على رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ والناس ببابه جلوس ، والنبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ جالس ، فلم يؤذن له ، ثم أقبل عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فاستأذن فلم يؤذن له ، ثم أذن لأبي بكر وعمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما ـ فدخلا والنبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ جالس وحوله نساؤه وهو ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ساكت ، فقال عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ لأكلمن النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لعله يضحك ، فقال عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :يا رسول الله ، لو رأيت ابنة زيد ـ امرأة عمر ـ سألتني

النفقة آنفاً فوجأت عنقها فضحك النبيّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حتى بدت نواجذه ، وقال : «هُنَّ حولي يسألنني النفقة» فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها ، وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقولان : تسألان النبيّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ما ليس عنده؟ فنهاهما رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ؟ فقلن : والله لا نسأل رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بعد هذا المجلس ما ليس عنده ، قال : وأنزل الله ـ ﷻ ـ الخيار ، فبدأ بعائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ـ» .

روى الإمام أحمد عن أم سلمة زوج النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ تقول : قلت للنبيّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :ما لنا لا نُذكر في القرآن كما يُذكر الرجال؟ قالت : فلم يرعني منه ذات يوم إلا نداؤه على المنبر وأنا أسرِّح شعري فلففتُ شعري ثم خرجت إلى حجرة من حُجر بيتي ، فجعلت سمعي عند الجريد فإذا هو يقول عند المنبر : «يا أيها الناس إن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ .

الشرح الإجمالي للآيات:

آية التخيير:

بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن غزوة الأحزاب أو الخندق وغزوة بني قريظة وما فيهما من عبر وعظات ، أتى الحديث عن بيت النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وما وجه به سبحانه زوجات النبيّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ من آداب وتوجيهات كريمة .

خاطب الله تعالى نبيَّه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بعد أن اجتمع عليه نساؤه يطلبنه زيادة النفقة وهذا أمر لا يقدر عليه في كل وقت ، بأن أمره الله تعالى أن يخيِّرهن فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ اللائي اجتمعن عليك يطلبن منك زيادة النفقة ﴿ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ وما

فيها من نعيم زائل ﴿ فَتَعَالَيْنَ ﴾ فأقبلن ﴿ أُمَتِّعْكُنَّ ﴾ شيئًا مما عندي من الدنيا ، ﴿ وَأُسَرِّحْكُنَّ ﴾ أفارقكن ﴿ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ من دون ضرر أو إيذاء بل بسعة صدر وانشراح بال ، ليذهب كل منهما إلى طريقه لا يحمل في نفسه شيئًا على الآخر .

وهذا خلق عظيم منحه الله تعالى لنبينا ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بضد ما يفعله كثير من المسلمين من المضارة والأذى عند طلاق زوجته ، ولعل في ذلك عبرة للاقتداء بنبينا ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ .

ثم قال الله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾ وإن كان مبتغاكن وغاية مرادكن الله ورسوله وما أعد الله تعالى في الدار الآخرة من النعيم ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ لأنكنَّ قدمتن رضا الله ورضا رسوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، فأنتن بهذا أخلصتن العبادة لله تعالى واتبعتن الرسول ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فهيأ الله لكُنَّ ثواباً في الجنة لا يقدر قدره إلا هو ، فاخترنه ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهن ـ وقدمن رضا الله ورسوله على حطام الدنيا الزائل .

وقد أخذ أهل العلم من آية التخيير هذه أن الرجل إذا خيَّر زوجته فاختارت الطلاق كان طلاقًا وأما إذا اختارت البقاء معه فلا شيء عليها ولا يقع طلاقًا .

ثم ناداهن المولى ـ ﷻ ـ بتشريف وتكريم بقوله : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ والمعنى أن من يأت منكنَّ بمعصية ظاهرة كبذاءة اللسان أو الزنى أو ما هو أعم من ذلك يضاعف لها العذاب مرتين ، لأن مقام أمهات المؤمنين رفيع ، ناسب أن يجعل الذنب الواقع منهنَّ عقوبته مغلظة صيانة لجناب النبيّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، وهذا العقاب هينٌ يسهل على الله تعالى .

توجيهات كريمة:

ولما ذكر الله ـ ﷻ ـ أن عقاب أمهات المؤمنين على الذنب مضاعف ذكر أن ثوابهن على

العمل الصالح مضاعف كذلك قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ ومن تطع منكن الله ورسوله ﴿ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا ﴾ تعمل بما أمر الله به ﴿ نُّؤْتِهَآ ﴾ نعطها ﴿ أَجْرَهَا ﴾ ثواب عملها ﴿ مَّرَّتَيْنِ ﴾ ، وهذا فضل من الله ونعمة ليس لسائر النساء ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهَا ﴾ هيأنا لها ﴿ رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ في الجنة ، والقنوت لله تعالى قنوت عبادة وخشوع وتذلل ، والقنوت للرسول ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قنوت طاعة له وامتثال لأمره وأداء حقه .

ثم قال الله تعالى مذكرًا زوجات النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لشرفهن وفضلهن على نساءِ الأمة حيث أنهن زوجات سيد ولد آدم وخاتم النبيين ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ببعض الآداب والأحكام التي هُّن أولى النساء بالعمل بها ، ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ ﴾ كرّر النداء لهن لمزيد التنبيه والعناية والاهتمام ﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾ فأنتن لستن كغيركن من النساء في الفضل والمنزلة إن خفتن الله تعالى وامتثلتن أمره . ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ فلا يحصل منكن تكسر في الكلام وخنوع وترقيق فيطمع الذي في قلبه مرض الشهوة . ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ تكلمن بكلام يؤدي الغرض من غير لين في الكلام وخضوع فيه ، وكل هذا صيانة وحفظ لهن من الفواحش والآثام ، فإن الله ـ ﷻ ـ عندما نهى عن الفاحشة نهى عن أسبابها .

ثم قال الله تعالى آمرًا نساء النبي بالقرار في البيت والمكوث فيه ولا يخرجن منه إلا لحاجة ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ ، ونهاهن عن فعلٍ قبيحٍ وهو التبرج وإظهار المحاسن وكشف الزينة للأجانب كما هو حال أهل الجاهلية الأولى في الأزمنةً السابقة على الإسلام وكذلك حال كثير من النساء في هذا العصر : الكاسيات العاريات المتبرجات المتبخترات . والنهي عن هذه الأمور الجاهلية إنما هو لدفع الشر وأسبابه .

وبعدما أمرهن بالقرار في البيوت ونهاهن عن التبرج وأسباب الشر ، أمرهن بالخير وأسبابه قال الله تعالى ﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أدّين الصلاة كاملة في أوقاتها أداءً تامًا لا نقص فيه .

﴿ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أعطين الزكاة وادفعنها لمستحقيها . وفي أمرهن بأداءِ الزكاة دليل على أن للمرأة ملكية مستقلة خاصة وهذا من تشريف المرأة وتكريمها ، وخُصّت تلك العبادتين الصلاة والزكاة لأن الصلاة أعظم العبادات البدنية والزكاة أعظم العبادات المالية .

﴿ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ في أمرهما ونهيهما .

ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ يعني إنما يريد الله بما أمركن به ليزيل عنكم أرجاس الشرك والكفر والمعاصي ، ويطهر نفوسكم ويزكيِّها غاية التطهير والتزكية .

وهذه الآية دليل على أن أزواجه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من آل بيته لأن الخطاب والسياق معهنَّ .

ولما أمرهن الله تعالى بالعمل الذي هو فعلٌ وتركٌ ، أمرهُنَّ بالعلم ليجمعا بين العلم والعمل كما هي طريقة الذين أنعم الله عليهم ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ أي : تذكرن وتدبرن ما يتلى في بيوتكن من القرآن والحديث واقُدرْنه حقَّ قدره فهو من نعم الله عليكنّ ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ بكُن إذ جعلكن أزواجًا لنبيه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ﴿ خَبِيرًا ﴾ ببواطن الأمور لا يغيب عنه شيء . وفي هذه الآية إشارة إلى قراءة القرآن والحديث في البيوت لحلول البركة فيها ، وكلُّ ما تقدم من الآداب أمر الله تعالى بها نساء النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ونساء الأمة لأنهن تبعٌ لهن في ذلك فهن أولى وأحرى .

النساء شقائق الرجال:

ثم ذكر الله تعالى خصالاً عشرًا يدخل بها المرء الجنة بإذنه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ ومعنى الإسلام الاستسلام لله ظاهرًا أي بفعل الجوارح الظاهرة بأداء الأعمال الظاهرة من الصلاة والزكاة والصيام . . وبدأ به تعالى الذي هو مجرد الدخول

في الدين ، والانقياد له مع العمل . ثم عطف على المسلمين المسلمات تشريفاً لهن بالذكر . ﴿ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ والإيمان هو الاستسلام لله باطنًا بتصديق كل ما أخبر به الله ورسوله من أمور الغيب . والإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وهو بهذا المعنى مرادف للإسلام .

﴿ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ ﴾ ومعنى القنوت دوام الطاعة والتذلل والخضوع لله تعالى . ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴾ في أقوالهم وأعمالهم ، والصدق منجاة لصاحبه في الدنيا والآخرة وهو خصلة محمودة ، وهو علامة الإيمان كما أن الكذب علامة النفاق .

﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ ﴾ وقد توسطت هذه الخصال العشر خصلة الصبر لأنها كلها تحتاج إلى صبر ومصابرة ، والصبر حبس النفس على طاعة الله وعن معصية الله وعلى أقدار الله . وفي الحديث . «وما أعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر»[1] .

﴿ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ ﴾ والخشوع هو السكون والطمأنينة وهو لبُّ الصلاة وروحها ، وفيه يراقب العبدُ ربَّه في أقواله وأفعاله .

﴿ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ ﴾ والصدقة بذل المال للمحتاجين في وجوه الخير تقربًا إلى الله . وسميت صدقة لأنها تدل على صدق صاحبها . وفي الحديث عن رسول الله -ﷺ- «ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله بعبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه»[2]

﴿ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ ﴾ والصوم هو التعبد لله تعالى بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وهو من أجلِّ الطاعات وأعظم القربات وهو عبادة السر .

﴿ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ ﴾ عن الفواحش ، وهذه الخصلة من أخص صفاتِ المؤمنين والمؤمنات إذ مدحهم الله تعالى عليها . ومن حفظ فرجه عن الحرام نال خيرًا عظيمًا

١ - سنن أبي داود - كتاب الزكاة - باب «ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم» ١٦٤٤ .
٢ - رواه مسلم - صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والادب - باب استحسان العفو والتواضع ٢٥٨٨ .

وحلاوةً ولذةً في قلبه ، ونورًا في وجهه ، وقوةً في إيمانه ، وازداد بصيرةً في أمره .

﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ والذكر عبادة اللسان وهو ما يجري على اللسان مع مواطئة القلب من حمد الله وتسبيحه والثناء عليه بما هو أهله ، وختم به لأن جميع تلك الخصال قائمة عليه . وذِكرُ الله دليل الفلاح والثبات على الدين .

ثم ذكر الله تعالى ثواب أصحاب الخصال العظيمة أن أعد الله لهم مغفرةً لذنوبهم وثوابًا عظيمًا لا يقدر قدره إلا الله وهو الجنة ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

من هداية الآيات:

١ – أمرُ الله نبيه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بتخيير نسائه يدل على ما منحه الله من خصال عظيمة وأخلاق نبيلة .

٢ – مشروعية المتعة للمطلقة .

٣ – فضل نساءِ النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حيث اخترن الله ورسوله والدار الآخرة على الدنيا وزينتها .

٤ – العقوبة تعظم بقدر النعمة .

٥ – إنما يشرف المرء بتقوى الله تعالى لا بحسبه ولا بنسبه .

٦ – الحث على طاعة الزوج .

٧ – الجنة معدة لأهلها وهي موجودة الآن .

٨ – حرمة ترقيق المرأة صوتها وتليين عبارتها إذا تكلمت مع أجنبي .

٩ – المرأة مأمورة بالقرار في بيتها ولا تخرج منه إلا لحاجة .

١٠ – حرمة التبرج وأنه عادة قبيحة وخلق سيئ .

١١ – ذمُّ ما عليه أهل الجاهلية الأولى والإشارة إلى جاهلية ثانية .

١٢ – من شُكْرِ الله تعالى على نعمة الإيمان والإسلام تلاوة القرآن والحديث النبوي .

١٣ – الصفات العشر التي أولها الإسلام وآخرها ذكر الله تعالى سبب في دخول الجنة بعد مغفرة الذنوب .

١٤ – يتساوى الرجال والنساء في العلم والعمل والثواب .

القيم المستفادة:

١ – موالاة زوجات النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ .

٢ – تعظيم الأوامر والنواهي .

٣ – حب العمل الصالح .

٤ – بغض التبرج .

التقويم

السؤال الأول:

أ) ما سبب نزول قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا . . .﴾ .

• .....

ب) ما سبب نزول قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ .

• .....

جـ) وضّح معاني الكلمات الآتية :

(أمتعكن ، أسرحكن ، أعد ، بفاحشة ، ضعفين ، ومن يقنت ، في قلبه مرض ، وقَرْن ، ولا تبرجن) .

• .....

• .....

السؤال الثاني:

أ) علّل لما يأتي:

- تخيير النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ زوجاته بين الطلاق والبقاء معه .

• .....

- تغليظ العقوبة على زوجات النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ .

- .....

- خصّ الله تعالى الصلاة والزكاة في الذِّكْر .

- .....

ب) صل ما بين المجموعتين:

مجموعة (أ)	مجموعة (ب)
الإسلام	عبادة السر .
القنوت	عبادة الباطن .
الإيمان	موافقة القول للواقع .
الصبر	التذلل والخضوع والتطامن .
الذكر	دوام الطاعة .
الخشوع	حبس النفس على الطاعة وعن المعصية وعلى المصائب .
الصوم	عبادة اللسان .
الصدق	عبادة الظاهر .

الدرس الثاني والعشرون

قصة زيد بن حارثة وزينب بنت جحش
ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُا ـ

سورة الأحزاب الآيات من (٣٦- ٤٠)

كان زيد بن حارثة عبدًا للنبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ثم أعتقه فصار مولى ـ وكان زيد سيدًا كبير الشأن جليل القدر حبيبًا إلى النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يقال له الحِبُّ ، ويقال لابنه أسامة الحِبُّ بن الحِبِّ وكان رسول لله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قد زوَّجه بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ـ وأمها أميمة بنت عبد المطلب فمكثت عنده نحوًا من سنة أو فوقها ، ثم وقع بينهما خلاف فنصحه النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أن يمسك زوجته ويتقي الله فيها .

وكان من أمر الله تعالى أن حرَم التبني وأبطل هذه العادة وكان الناس يتحرّجون من التزوج بزوجات من تبنوهم بعد أن يطلقوهن أو يتوفون عنهن .

وأراد الله تعالى أن يبدأ النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بهذا الأمر ويتزوج بزوجة من تبناه وهو القدوة والأسوة ، وينتفي الحرج عن المؤمنين .

وفي أمر الله تعالى وما شرعه ليس للمؤمن إلا الاستجابة لله ولرسوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ .

فتأمل هذه القصة وما فيها من أحكام وفوائد تنفعك في دينك .

النص

قال تعالى:

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة	لا ينبغي ولا يصلح
إذا قضى الله ورسوله	حكم الله ورسوله ، والقضاء هنا بمعنى الحكم .
الخِيرة	الاختيار
ومن يعص الله ورسوله	المعصية مخالفة الأمر وهي ضد الطاعة .
فقد ضل ضلالاً مبيناً	فقد بَعُد عن الطريق الحق بُعْدًا واضحاً ظاهرًا .
أمسك عليك زوجك	لا تفارق زوجتك والمراد بها زينب بنت جحش ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ـ .

مبديه	مظهره ومبينه
والله أحق أن تخشاه	والله أولى وأوجب أن تخافه
فلما قضى زيد منها وطرًا	القضاء هنا بمعنى الفراغ والوطر بمعنى الحاجة
حرج	ضيق ومشقة وإثم
سنة الله	طريقة الله تعالى
وكفى بالله حسيباً	وكفى بالله حافظاً لأعمال الناس محاسباً عليها
خاتم النبيين	آخرهم ومنه ختام الشيء إلى آخره .

أسباب النزول:

رُوي عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما ـ أن رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ خطب زينب بنت جحش لزيد بن حارثة فاستنكفت منه ، وقالت : أنا خير منه حسباً ـ وكانت امرأة فيها حدة ـ فأنزل الله ـ ﷻ ـ ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ . . ﴾ .

عن أنس بن مالك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال :«وتخفي في نفسك ما الله مبديه» نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما ـ»[1] رواه البخاري .

رُوي أن بعض الناس تكلم أن محمدًا ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ تزوج امرأة ابنه عندما تزوج زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة فأنزل الله ـ ﷻ :﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ .

١ – رواه البخاري .

الشرح الإجمالي للآيات:

تعظيم أمر الله ورسوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾

يقول الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ﴾ أي ولا ينبغي ولا يصلح لمؤمن ولا مؤمنة ، إذ إن من صفات أهل الإيمان أنه ﴿ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ﴾ إذا حكم الله ورسوله فيهم حكماً ليس لهم الاختيار في امتثال ذلك الحكم أو ردِّه ، بل عليهم الانقياد والامتثال .

ثم حكم الله تعالى على من عصى الله ورسوله بالبعد الظاهر الواضح عن الطريق المستقيم إذ إن مخالفة أمر الله ـ ﷻ ـ ورسوله ـ ﷺ ـ ليس بالأمر السهل الهيّن .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ «فهذه الآية عامة في جميع الأمور وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد ولا رأي ولا قول كما قال الله تعالى» : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1] .

عتاب الله لرسوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾

يقول الله ـ ﷻ ـ اذكر يا محمد حين تقول للذي أنعم الله عليه بأن وفقه للإسلام وأنعمت عليه أنت بالعتق وتحريره من العبودية ، إذ تأمره بإمساك زوجته وألا يطلقها وتأمره بتقوى الله في أمرها

---

١ – سورة النساء : ٦٥ .

وتخفي في نفسك ما سيظهره الله وهو إرادة الله زواجك بها لإبطال عادة التبني .

وقد أخفاه النبيّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حياءً وصيانةً لعرضه من ألسن السفهاء من المنافقين وشأنك أنك تهاب أن يقول الناس : محمد تزوج بحليلة ابنه ، والله أحق أن تخافه وتهابه وحده ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ .

وهذا هو المراد من هذه الآية لا كما يقوله بعض الناس من أنه عليه الصلاة والسلام أخفى استحسانها وحُبَّه لها والحرص على طلاق زيد إياها ، فهذا لا يليق أن يقال بمقام النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد كانت زينب بكرًا قبل ذلك وهي ابنة عمته وهو بنفسه خطبها لزيد مما يدل على فساد ذلك القول .

ثم تولى الله ـ ﷻ ـ زواجه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بزينب بنفسه بلا وليٍّ ولا مهر ولا عقد ولا شهود من البشر حيث قال : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ﴾ أي فلما طلقها زيد ولم يبق له رغبة فيها ﴿ زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ ، وهذا الحكم وهذا التشريع الذي ابتدأناه بك ﴿ لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ ﴾ ضيق ومشقة ومانع ﴿ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ ﴾ من كانوا يتبنونهم ﴿ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ أي بعد طلاقهن إذا قضوا منهن حاجتهم ، ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ لا مانع له ولا عائق ، ولا بُدَّ من كونه كما قضاه الله وقدره .

عن عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ـ قالت : «لو كتم محمد ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ شيئًا مما أُوحي إليه من كتاب الله لكتم : ﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾»[1] .

وعن أنس ـ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ ـ قال : «إن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فتقول : «زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات»[2] .

---

١ – رواه مسلم .

٢ – رواه البخاري – فتح الباري شرح صحيح البخاري – كتاب الوحي – اتق الله وأمسك عليه زوجك – ٦٩٨٤ –

رفع الحرج:

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾

ثم قال الله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾ ما كان على النبي محمد ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ من ضيق وحرج وإثم فيما أحل الله له من زواج امرأة من تبناه بعد طلاقها ، فهي ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ﴾ طريقته ودينه ﴿ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ﴾ في الأنبياء قبل النبي محمد ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ حكماً مقضيًا لابد من وقوعه .

وهذه الآية ردٌّ على من طعن بزواجه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بزينب بعد أن طلقها زيد وعلى من طعن في كثرة أزواجه .

وزواجه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأكثر من أربع نسوة فيه من الحكم العظيمة منها : أن رسالة النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ للرجال والنساء فكان من أمور النساء ما لا يطلع عليه الرجال ، فيرُى نساءه ذلك فينقلونه إلى الأمة جميعاً . ومنها : ما يكون بالمصاهرة من التآلف والتناصر كما هو معروف ومشاهد ، وهو خير عامل لانتشار الدعوة وانتشارها بين قبائل العرب .

ومنها : أن من أعظم النعم شرَفَ القرب من رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حيث يرى المؤمنون أن القرب من النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ شرف ، فحرص على ذلك عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهما ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما ـ .

ومنها : زواجه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الأرامل والمطلقات ما يعينهن بعد أزواجهن كسودة وميمونة وجويرية وتزوج عائشة وحفصة مكافأة لأبي بكر وعمر وتزوج صفية بعد أن سُبيت رأفة بها إذ ذَلت بعد عزة . وتزوج زينب لإبطال عادة جاهلية وهي التبني .

مدح المبلغين لرسالات الله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾

يمدح الله تبارك وتعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي يؤدونها ويبلغونها بأمانة إلى الناس ﴿ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ ﴾ ولا يخافون أحدًا في تبليغ ما أمرهم الله به إلا الله ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ محاسبًا عباده على جميع أعمالهم ومراقباً لها .

وفي هذه الآية مدح للأنبياء ولأتباعهم في تبليغهم شرع الله تعالى وخشيته وحده دون سواه ، وفي مقدمتهم نبينا ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فقد قام ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالبلاغ المبين وبالدعوة خير قيام ، فبلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين . فصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ تسليمًا كثيرًا .

النبيّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ خاتم النبيين:

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾

قال الله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ ﴾ أي ما كان محمد رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أبا أحد من رجالكم لا أبوة نسب ولا أبوة ادعاء وفي هذا توكيد إبطال بنوة التبني والادعاء .

﴿ وَلَٰكِن ﴾ محمد ـ ﷺ ـ ﴿ رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾ إلى الناس جميعاً ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ ﴾ أي آخرهم لا نبي بعده إلى يوم القيامة ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴾ لا يخفى عليه شيء ، يعلم ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، علمه واسع محيط بكل شيء .

وكونُ النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ خاتم النبيين دليل على أنه أفضلهم وأنَّ دينه أفضل الأديان . جاء في الصحيحين عن جابر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عن النبيّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى دارًا فأحسن بناءها إلا موضع لبنة فكان الناس يمرون ،

فيقولون :ما أحسن هذا لولا موضع هذه اللبنة قال ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :«وأنا موضع تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين»[1] .

من هداية اللآيات:

١ – من لوازم الإيمان الانقياد التام لأمر الله ـ ﷻ ـ ورسوله ـ ﷺ ـ .

٢ – معصية الله ـ ﷻ ـ ورسوله ـ ﷺ ـ سبب للضلال والخروج عن طريق الحق .

٣ – نعمة الإيمان أعظم نعمة والمنعم بها هو الله تعالى .

٤ – ينبغي من أراد أن يطلق زوجته أن يستشير في أهل العلم والنصح وأعظم ما ينصح به تقوى الله تعالى في أمرها .

٥ – عظم حياء النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ونصحه .

٦ – وجوب خشية الله تعالى وحده دون الناس .

٧ – النبيّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أدى الأمانة في تبليغ كل ما أمره الله به .

٨ – منقبة عظيمة لزينب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ـ ورفعة لها وإعلاء لشأنها حيث تولى الله تعالى تزويجها .

٩ – منقبة عظيمة لزيد بن حارثة وشرف كبير له حيث ذكر الله تعالى اسمه في القرآن الكريم دون غيره .

١٠ – إبطال عادة التبني .

١١ – رفع الحرج عن المؤمنين في جواز زواج الرجل بامرأة ابنة المدعي .

١– رواه البخاري – صحيح البخاري – كتاب المناقب – باب خاتم النبيين –ﷺ– ٣٣٤١

١٢ - لا حرج ولا إثم ولا لوم على النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ولا على أحد من أمته في فعل ما أباحه الله لهم .

١٣ - مدح الله تعالى للمبلغين لرسالات الله والذين يخشونه ولا يخشون أحدًا سواه .

١٤ - نبينا ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ خاتم الأنبياء فمن ادعى النبوة بعده فكافر أفاك دجال ضال مضل .

١٥ - إثبات اسمين من أسماء الله الحسنى «الحسيب ، العليم» .

القيم المستفادة:

١ - الانقياد لأمر الله ـ ﷻ ـ ورسوله ـ ﷺ ـ .

٢ - بغض المعصية .

٣ - حبُّ الأنبياء وأتباعهم .

٤ - تعظيم الشرع .

التقويم

السؤال الأول:

أ) وضّح سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ . . . ﴾

- .....

- .....

ب) وضّح معاني المفردات الآتية :

(قضى ، ومن يعص ، الخيرة ، حرج ، سنة الله ، خاتم) .

- .....

- .....

السؤال الثاني:

أ) هل سبب النزول في الآية خاصٌّ فيما نزلت فيه؟ ولماذا؟

- .....

- .....

ب) ما الفضيلة التي حازها زيد وزينب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما ـ؟

- .....

- .....

جـ) لماذا كان النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يخفي في نفسه إرادة تزوجه بزينب؟

- .....
- .....

السؤال الثالث:

أ) ما الحِكَم الجليلة من زواجه عليه الصلاة والسلام بأكثر من أربع نسوة؟ اذكر ثلاثًا منها .

- .....
- .....
- .....

ب) ماذا تستفيد من مدح الله تعالى للمبلغين لشرع الله ولا يخشون أحدًا غيرهُ؟

- .....
- .....

جـ) ارجع إلى أحد التفاسير المعتمدة ووضِّح في بحث مستقل :

– الرد على من طعن في زواجه عليه الصلاة والسلام بأكثر من أربع نسوة .

- .....
- .....
- .....

الدرس الثالث والعشرون

عنايةُ الله تعالى بالمؤمنين وصفات الرسول الكريم ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ

سورة الأحزاب الآيات من (٤١-٤٩)

الله عز وجل لطيف بعباده رحيم بهم ، بأن حثّهم على أعمال عظيمة عنده ليتقربوا إليه ويتزودوا من الحسنات ما ينالون به أعظم الدرجات في الجنات .

وأعظم ما يتقرب العبد ، إلى الله تعالى ذكره والثناء عليه بما هو أهله وحده ، وتسبيحه في الليل والنهار وهذا الذكر من أسهل ما يكون من العبادات ولهذا قيل : «لا يعُذَر أحد بتركه إلا من غلب عليه عقلُه» .

ومن نعم الله ـ ﷻ ـ على البشرية جميعًا أن بعث إليهم محمدًا صلى الله عليه وسلم الذي جمع الله ـ ﷻ ـ له بين البشارة والنذارة ، وهو النور الساطع والسراج المنير الذي دعا إلى سبيل ربه وقام بذلك أعظم قيام ، ومن توجيهات الرب الرحيم سبحانه وتعالى أنه يذكر من آيات الترغيب والتشويق قبل آيات الأحكام حتى تكونَ النفوس مهيأة والقلوب فرحة مسرورة مشتاقة إلى الله تعالى ودار كرامته ، وهذا درس يستفيدُ منه الدعاةُ إلى الله تعالى .

نسأل الله تعالى أن يعيننا للقيام بطاعته فإنه لا حول ولا قوة لنا إلا به سبحانه .

النص

قال تعالى:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
وسبحوه	نزِّهوه عن كل نقص وعيب .
بكرة	في الصباح ، والبكرة أول النهار .
وأصيلاً	في المساء والأصيل آخر النهار .
يصلي عليكم	الصلاة من الله على العبد ثناؤه عليه عند الملائكة ، وقيل : الرحمة ، وكلا المعنيين صحيح .
من الظلمات	المراد بالظلمات ظلمات الشرك والجهل والضلال .
إلى النور	المراد بالنور نور العلم والتوحيد والهدى واليقين .
أجرًا كريمًا	ثوابًا كريمًا وهو الجنة .

شاهدًا	على أمته بما عملوه من خير وشر .
ومبشرًا	من البشارة وهي الإخبار بما يسر أي يبشر من أطاعه بالجنة .
ونذيرًا	من النذارة وهي التخويف أي يخوف من عصاه بالنار .
وسراجًا منيرًا	مصباحًا ساطعًا منيرًا والمراد كونُ النبي صلى الله عليه وسلم أمره ظاهر في ما جاء به من الحق كالشمس في إشراقها وإضاءتها .
إذا نكحتم	النكاح مأخوذ من التناكح وهو الاجتماع والمراد به عقد الزوجية الصحيح .
ثم طلقتموهن	الطلاق مأخوذ من الإطلاق وهو الإرسال والتخلية والمراد به حلُّ عقد النكاح كله أو بعضه .
من قبل أن تمسوهن	المراد بالمساس هنا الجماع .
من عدة	العدة مأخوذة من العدد والمراد بها أن تنتظر المرأة مدة محددة شرعًا لا تتزوج بها بسبب مفارقتها زوجها .

الشرح الإجمالي للآيات :

الفضل العظيم لمن ذكر الله كثيرًا :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ٤٤ ﴾ يقول الله تعالى آمرًا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم لأنه هو المنعم عليهم بأنواع النعم التي أعظمها نعمة الإيمان ، وكثرة ذكرهم لله عز وجل سبب لنجاتهم وعلامة على إيمانهم ، وللذكر فضائل عظيمة حيث جاء رجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال : «يا رسول الله إن شرائع الإيمان قد كثرت عليّ ، فمرني بأمر أتشبث به ، قال – صلى الله عليه وسلم – : «لا يزال لسانك رطباً بذكر الله تعالى»[1] .

١ – سنن ابن ماجه – كتاب الأدب – لا يزال لسانك رطباً بذكر الله ٣٧٩٣ –

ذكر الله سبب الثبات على الدين.

قال تعالى آمرًا بتسبيحه في الصباح والمساء﴿ وَسَبِّحُوهُ ﴾ نزِّهوا الله تعالى عن كلِّ نقص وعيب ، ومعنى قولك : سبحان الله ، أي أنزهك يا الله عن كل صفة نقص وعيب فهو سبحانه الكامل في الذات والصفات والأفعال .

﴿ بُكْرَةً ﴾ أول النهار ﴿ وَأَصِيلًا ﴾ آخر النهار وفي تخصيص هذين الوقتين إظهار لفضلهما والتنويه بهما .

وخَصَّ التسبيح لبيان فضله ولهذا جاء في الحديث «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ، خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم»[1] .

ثم قال تعالى مشوِّقًا عباده إلى كثرة ذكره ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ ﴾ يثني عليكم عند ملائكته ويرحمكم ، ﴿ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ يدعون لكم بالرحمة .

﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ ظلمات الشرك والجهل والضلال ﴿ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ ﴾ نور العلم والهدى واليقين .

وفي جمع الظلمات يدل على أن سُبُل الباطل كثيرة ، وإفراد النور على أن سبيل الحق واحد لا يتعدد .

ثم قال تعالى : ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ لهم في الدنيا والآخرة ، لا يعذبهم ما داموا مطيعين مخلصين له .

ثم بيَّن الله آثارَ رحمته بالمؤمنين يوم القيامة بقوله ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ ﴾ يحييهم الله تعالى عندما يلقونه بسلام كما في قوله تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[2] ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ ثواباً حسناً وهو الجنة .

---

١ – رواه البخاري – صحيح البخاري – كتاب التوحيد – باب قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ . . ﴾ ٢٧٤٩

٢ – سورة يس : ٥٨

بعضُ صفات الرسول الكريم -ﷺ- :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾ ﴾

ذكر الله عز وجل – بعضًا من صفات رسولنا الكريم – عليه الصلاة والسلام – وهي مثلها مكتوبة في التوارة ولكنهم بدّلوها وغيرّوها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا ﴾ يا نبينا إنا أرسلناك شاهدًا على أمتك بإبلاغهم الرسالة ﴿ وَمُبَشِّرٗا ﴾ لمن اتَّبعك بالرحمة والجنة ﴿ وَنَذِيرٗا ﴾ من عصاك بالعذاب في النار ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ ﴾ قد أمرك الله تعالى بالدعوة وأذن لك بها ﴿ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ مصباحًا ساطعًا مضيئًا كالشمس في إشراقها وإضاءتها . وهذا يدل على أن البشرية قبله كانوا في ظلمة عظيمة حتى جاء هذا النبي -ﷺ- فأضاء الله -ﷻ- به الظلمات وهدى الله سبحانه به من شاء من خلقه .

﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴾ أخبر من اتبعك بالأجر الواسع الكبير والمكانة العالية في الدنيا على سائر الأمم ، والمنزلة السامية في أعلى الجنات في الآخرة . وهؤلاء المؤمنون هم من تمسكوا بسنته وساروا على هديه ، ثم نهاه الله تعالى عن طاعة الكافرين والمنافقين لأنهم أصل الشر والفساد ﴿ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ ﴾ أي اترك أذاهم ولا يمنعك من تبليغ الرسالة ، وفوِّض أمرك إلى الله فإنه سبحانه يكفيك ما أهمك من كل أمر الدنيا والآخرة .

ولهذا قال : ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾ ﴾

من أحكام الطلاق:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾

بعد أن رغّب الله تعالى المؤمنين فيما أعد لهم من دار كرامته ، وجههم إلى حكم من أحكامه سبحانه وهو ما يتعلق بالطلاق ، فقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ يا من صدَّق الله ورسوله وعملوا بشرعه ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ إذا عقدتم عليهن عقد النكاح ﴿ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ ﴾ بأن حللتم عقد الزواج ، وكان هذا الطلاق ﴿ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾ قبل أن يحصل بينكم جماع فالحكم أن لا عِدَّة عليهن لكم ، لأن العدة إنما شرعت لبراءة الرحم من الحمل وهذه ليس مدخولاً بها ﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾

ولكن عليكم أن تمتِّعوهن بشيء من المتعة من مال أو كسوة تطييبًا لخاطرهن وإكرامهن ، وأن تخلوا سبيلهن من غير مغاضبة ولا مضارة ولهذا قال الله تعالى : ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ .

وقد ذكر المفسرون بعض الأحكام المتعلقة بهذه الآية نذكر منها حكمين :

- أجمع العلماء على أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها لا عدة عليها ولا يستثنى من هذا إلا المتوفى عنها زوجها فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشرًا وإن لم يكن دخل بها .

وهذه المرأة التي طلقت قبل الدخول تستحق نصف المهر كما بيَّن الله عز وجل ذلك في سورة البقرة .

- قوله تعالى : ﴿ نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ خرج مخرج الغالب إذ لا فرق بين المؤمنة والكتابية في الحكم إلا أن العلماء تلمسوا فائدة تخصيص ذكر المؤمنات من أنه ينبغي نكاح المؤمنة الصالحة العفيفة .

من هداية الآيات:

١ – تشريف الله تعالى للمؤمنين بأن ناداهم بوصف الإيمان المستلزم لقبول الحكم الشرعي والعمل به .

٢ – يطلق اسم النكاح على عقد الزوجية الصحيح .

٣ – استحباب ذكر الله تعالى في الليل والنهار لما فيه من الأجر العظيم والفضل الكبير .

٤ – بيان فضل الله تعالى على المؤمنين بثنائه عليهم عند ملائكته وعنايته بهم .

٥ – ذكر خصال النبي الكريم -ﷺ- .

٦ – مشروعية الدعوة إلى الله تعالى .

٧ – وجوب العدة على المطلقة المدخول بها .

٨ – مشروعية المتعة لكل مطلقة .

٩ – عدم مضارة المطلقة وأذيتها .

١٠ – إثبات بعض أسماء الله الحسنى (الرحيم ، الوكيل) .

القيم المستفادة:

١ – إجلال الله تعالى .

٢ – ذكر الله تعالى .

٣ – الشوق إلى الجنة .

٤ – التقيد بأحكام الشرع .

التقويم

السؤال الأول:

أ) علّل ما يأتي:

- ذكر آيات الترغيب أثناء آيات الأحكام .

. . . . . .

. . . . . .

- خصَّ الله البكرة والأصيل في أمره بتسبيحه .

. . . . . .

. . . . . .

- خصّ الله تعالى التسبيح من بين أنواع الذكر .

. . . . . .

. . . . . .

ب) جمعت الآيات خمس خصال للنبي ـ ﷺ ـ اكتبها.

١- . . . . . ٢- . . . . . .

٣- . . . . . ٤- . . . . . .

٥- . . . . . .

السؤال الثاني:

أ) اكتب معاني المصطلحات الشرعية الآتية:

- البشارة : ..... النكاح : ..... العدة : .....

- النذارة : ..... الطلاق : .....

ب) ماذا تستفيد من جمع الظلمات وإفراد النور؟

.....

السؤال الثالث:

أ) استخرج الحقائق المستفادة من الآيات التالية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ .

.....

.....

.....

.....

- ﴿ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمًا ٤٤ ﴾ .

.....

.....

.....

.....

- ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

ب) اشتملت الآية الأخيرة على أحكام تتعلق بالنساء، اذكر اثنين منها:

١- . . . . . .

٢- . . . . . .

جـ) ما الآداب التي يجب مراعاتها عندما يطلق الرجل زوجته؟

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

الدرس الرابع والعشرون

من خصوصيات النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وبعض الآداب المرعية معه

سورة الأحزاب الآيات من (٥٠-٥٥)

أكثر الله ـ ﷻ ـ في هذه السورة الكريمة من الأحكام المتعلقة بالنبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وزوجاته أمهات المؤمنين ، وهذا كله تكريم وتشريف لنبينا ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ولزوجاته أمهات المؤمنين .

وفي نفس السياق فقد أدّب الله تعالى المؤمنين بأنواعٍ من الآداب العظيمة مع نبيهم ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، فقد قاموا ـ رضوانُ الله عليهم ـ بذلكً أعظم قيام فامتثلوا أمر الله تعالى في نبيهم وانتهوا عما نهاهم عنه .

وفي هذه الآيات الكريمة بيان لما خص الله ـ ﷻ ـ به نبيَّنا ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وما أدَّب به أهل الإيمان .

النص

قال تعالى:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۚ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
أحللنالك أزواجك	جعلنا هن حلالاً لك .
اللاتي آتيت أجورهن	اللاتي أعطيت مهورهن .
وما ملكت يمينك	من الإماء والسراري .
ما أفاء الله عليك	مما ردّه الله عليك من الغنيمة .
إن وهبت نفسها للنبي	إن أعطت نفسها للنبي ـ ﷺ ـ بغير عوض ومن دون ولي .
خالصة لك	الخالصة من الشيء الذي لا يخالطه غيره . والمراد أن هذا الحكم خاصٌّ بك .
فرضنا عليهم	أوجبنا .
ترجي	تؤخر ، من الإرجاء وهو التأخير .
وتؤوي	تضم ، من الإيواء وهو الضم .
ومن ابتغيت	ومن طلبت .
ممن عزلت	من العزلة أي أزلت والمراد عزلتها من القسمة .
ذلك أدنى	ذلك أقرب .
أن تقر أعينهن	تقر مأخوذ من القرار وهو السكون أو من القِر وهو البرد أو منهما جميعاً ، يقال أقر الله عينك بمعنى سكنت أو بردت لأن العين إذا بردت سكنت ولا يقال ذلك إلا عند الفرح والسرور .

حليمًا	اسم من أسماء الله الحسنى على وزن فعيل وهو صيغة مبالغة يدل على اتصافه سبحانه بالحلم الواسع وأنه لا يعاجل من عصاه بالعقوبة سبحانه .
رقيباً	اسم من أسماء الله الحسنى على وزن فعيل وهو صيغة مبالغة يدل على عظمة رقابته واطلاعه على عباده لا يخفى عليه شيء .
غير ناظرين إناه	غير منتظرين نضجه ، وأصل الكلمة من أثر الشيء إذا حان إدراكه .
فانتشروا	فتفرقوا .
ولامستأنسين لحديث	الاستئناس :استفعال من الأُنس الذي هو ضد الوحشة أي طلب الأنس والارتياح ، والمراد لا تمكثوا حال كونكم مستأنسين لحديث .
من وراءِ حجاب	من خلف ستار .
إن تبدوا شيئًا	إن تظهروا شيئاً .
شهيدًا	أي مطلعاً وحاضرًا وهو اسم من أسماء الله الحسنى على وزن فعيل ، وهو صيغة مبالغة يدل على سعة وكمال اطلاعه سبحانه على كل شيء .

أسباب النزول:

عن عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ـ قالت : «كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأقول : أتهب امرأة نفسها؟ فلما أنزل الله ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ﴾ . قلت : «ما أرى ربك إلا يسارع في هواك» أي

يعطيك ما تحبه وتهواه .

عن أنس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال : ولما تزوج رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون ؛ فإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام ، فلما قام قام من قام معه ، وقعد ثلاثة نفر ؛ فجاء النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ليدخل فإذا القوم جلوس ، ثم إنهم قاموا ، فانطلقت فجئت فأخبرت النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبتُ أدخل ، فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ . . . ﴾»[1] .

عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ . . . ﴾ قال : نزل في رجل همّ أن يتزوج بعض نساء النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بعده »[2] .

عن أنس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :قلت :يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ، فأنزل الله آية الحجاب»[3] .

---

١ – رواه البخاري ومسلم – صحيح مسلم كتاب النجاح باب زينب بنت جحش –٢٥٦٧– .

٢ – ذكره ابن جرير في تفسيره .

٣ – رواه البخاري ومسلم . صحيح البخاري – كتاب الصلاة – أبواب استقبال القبلة – باب ما جاء في القبلة ٣٩٤
صحيح مسلم – كتاب النكاح – لما تزوج النبي –ﷺ– زينب . . ١٤٢٨

الشرح الإجمالي للآيات:

بيان النساء اللاتي أحللن للنبي ـ ﷺ ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠ ﴾

يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ . . ﴾ يا نبينا إنا أبحنا لك أزواجك اللاتي أعطيتهن مهورهن توسعة عليك وتيسيرًا عليك في تبليغ الدعوة ، ﴿ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ﴾ وكذلك أبحنا لك ما ملكت يمينك من الإماء مما أنعم الله به عليك من الغنائم ﴿ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ ﴾ وهذا القيد يدل على شرف الهجرة وفضلها وثوابها العظيم عند الله . والهجرة هي الانتقال من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام .

وقال تعالى : ﴿ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا ﴾ وكذلك أبحنا لك الزواج بامرأة مؤمنة منحت نفسها لك من غير مهر إن كنت تريد الزواج منها ، ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ ﴾ وهذا الحكم خاصٌّ بك وليس لغيرك أن يتزوج امرأة بالهبة ، وقد كانت بعض النساء يهبن أنفسهن للنبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ طمعًا في شرف الانتساب إليه لتقوم بخدمته وتصبح أماً للمؤمنين .

ثم قال تعالى : ﴿ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ ﴾ أوجبنا عليهم ﴿ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞ ﴾ أي قد علم الله تعالى ما أوجب على المؤمنين في أزواجهم وإمائهم بألا يتزوجوا إلا أربع نسوة وما شاؤوا من الإماء واشتراط الولي والمهر والشهود عليهم ، ولكن الله رخصّ لك في ذلك ووسّع عليك ما لم يوسع على غيرك لئلا يقع في صدرك ضيق وحرج

في نكاح من نكحت من هؤلاء الأصناف ، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ لذنوب عباده المؤمنين ﴿ رَّحِيمًا ﴾ بالتوسعةِ عليهم .

وفي قوله تعالى : ﴿ أَحْلَلْنَا ﴾ قد علمنا ما فرضنا وصيغة الجمع تدل على تعظيم الله لنفسه العلية . وفي تكرار مناداة النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بهذا الوصف تعظيم له ورفعة لقدره .

تخيير النبيّ ـ ﷺ ـ في قبول الواهبة نفسها أو ردّها:

﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾

أي ولك أيها النبي الخيار في أن تطلق من تشاء من زوجاتك وتمسك من تشاء منهن ، وتَقْسِمُ لمن تشاء في المبيت والمضاجعة وتترك من تشاء مضاجعتها ؛ وإذا أحببت أن تضم إليك امرأة ممن عزلتها من القسمة فلا إثم عليك ولا عتْبْ ، وهذا التخيير لك أقرب إلى أن يفرحن ولا يحزنَّ ويرضين كلهن بما قسمت لهن ؛ ولهذا قال تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ ﴾ والله سبحانه وتعالى يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها إلى بعض النساءِ دون بعض ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ ﴾ ، وهو سبحانه عليم بما تضمره القلوب وحليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه ولهذا قال تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ .

إكرام الله ـ ﷻ ـ لنساء نبيه ـ ﷺ ـ:

﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ ﴾

لما نزلت آية التخيير المتقدمة وهي قوله تعالى : ﴿ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا

وَزِينَتَهَا ﴾ ، وخيرهن رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ واخترنه ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُن ـ أكرمهن الله تعالى بهذه الكرامة بأن حرّم الله عليه أن يتزوج بغيرهن ، وحرّم عليه أن يطلق واحدة منهن وينكح مكانها أخرى ولهذا قال الله تعالى :

﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ ﴾ يعني لا يحل لك أيها النبي النساء من بعد زوجاتك التسع اللاتي في عصمتك ، ولا يحل لك أن تطلق واحدةً منهن وتنكح غيرها ولو أعجبك جمالها ، إلا ما استمتعت به منهن بملك اليمين فلا حرج عليك . ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبًا ﴾ أي شاهدًا على أعمالكم مطلعاً على ما تضمرون وما تفعلون . وختْم الآية بذلك فيه تحذير من مجاوزة حدود الله تعالى ، وأن يراقب العبد ربه في أقواله وأعماله .

آية الحجاب:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ٥٤ ﴾

بعد أن كان الحديث عن بيت النبوة وما أباح الله له من النساء أتبع ذلك ببيان الآداب المرعية عند دخول بيوت النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ يا من صدّقوا الله ورسوله واتبعوا شرعه ﴿ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾

لا تدخلوا بيوت النبي إكراماً له واحترامًا إلا إذا أذن لكم لتناول الطعام ، ولكن لا تحضروا مبكرين إذا دعيتم له فتنتظرون إلى أن يحين نضجه ، ﴿ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ ﴾

يعني : إذا حضرتم الدعوة وتناولتم الطعام فاخرجوا وتفرقوا إلى بيوتكم ولا تجلسوا مستأنسين للحديث فيما بينكم ، فإن هذا كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ ﴾ يثقل على النبي ـ ﷺ ـ ولكنه يتحرج كما قال الله تعالى : ﴿ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ ﴾ وهذا لكمال ما جمّله الله تعالى به من خُلُق الحياء . ولكن الله ـ ﷻ ـ يسارع في مرضاته قائلاً : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ والله ـ ﷻ ـ لا يستحي من بيان الحق وإظهاره .

ثم قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ ﴾ من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء ، وللنساء في أمر الرجال ، فالرؤية سبب للفتنة وهذا فيه حثٌّ على طهارة القلوب وتزكية النفوس والبعد عن أسباب الشر والعطب والفساد .

وهذا الأمر جاء في نساء النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وهُنَّ من هُنَّ في الدين والفضيلة والعفة والعلم والعمل ، وغيرهن من نساء الأمة من باب أولى وأحرى .

تحريم الزواج بزوجات النبي ـ ﷺ ـ بعده أبدًا:

ثم قال الله تعالى أنه لا ينبغي ولا يصلح لكم أن تؤذوا رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ الذي هداكم الله به وأنقذكم به من الضلالة بأي نوعٍ من أنواع الأذى ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ ولا يليق بكم ولا ينبغي ولا يصلح .

﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾ لأنهن أمهاتكم ولا يحل للرجل أن يتزوج أمَّهُ ؛ وقد عظّم الله تعالى ذلك وشدد فيه وتوعد عليه ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ إنه عظيم عند الله ـ ﷻ ـ .

قوله تعالى : ﴿ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ إن تظهروا بألسنتكم شيئاً أيها الناس من مراقبة النساء أو غير ذلك مما نهاكم عنه ، أو أذىً لرسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بقول : لأتزوجن زوجته بعد وفاته ، ﴿ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ : أو تخفوا ذلك في أنفسكم فإن الله ـ ﷻ ـ كان بكل شيء عليماً ، يقول :فالله ـ ﷻ ـ بكل ذلك وبغيره من أموركم وأمور غيركم عليم لا يخفى عليه شيء ، وهو يجازيكم على جميع ذلك .

من لا تحتجب منهم المرأة:

﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۖ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ ﴾

أي لا إثم ولا حرج على المرأة المسلمة أن تظهر زينتها أمام محارمها ولا يجب أن تحتجب منهم بسبب القرابة التي تستدعي الدخول والنظر ، فهؤلاء المذكورون في الآية ينظرون إلى ما يظهر غالباً من الوجه والرأس ونحو ذلك . ومع ذلك عليهن أن يتيقن الله في جميع الأحوال لأنه سبحانه حاضر مطلع على جميع الأمور بواطنها وظواهرها ولهذا قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾ . وقد ذكر بعض أهل العلم أنه إذا ظهرت من بعض محارم المرأة نظرات الريبة والشر فعليها أن تتحفظ منعًا وحسمًا لمادة الفتنة .

من هداية الآيات:

١ – إكرام الله تعالى لنبيه ـ ﷺ ـ بأن أحل له الزواج بأكثر من أربع نسوة .

٢ – شرف وفضل الهجرة .

٣ – علو منزلة النبي ـ ﷺ ـ وعظمها عند الله تعالى .

٤ – إثبات خصوصية النبي ـ ﷺ ـ – وهي هبة المرأة نفسها له دون المؤمنين .

٥ – بيان الآداب التي يراعيها المؤمنون في استئذانهم ودخولهم على البيوت .

٦ – كمال حياء النبي ـ ﷺ ـ وما جبله الله تعالى عليه منه .

٧ – الحياءُ لا يكون مانعاً من بيان الحقِّ وإظهاره .

٨ – مشروعية الحجاب وإلزام المؤمنات به لما فيه من المصالح العظيمة ودرء المفاسد .

٩ – حرمة نكاح زوجات النبي ـ ﷺ ـ بعده .

١٠ – بيان محارم المرأة التي يجوز لها أن تكشف أمامهم وتخاطبهم بدون حجاب مع التقيد بضوابط الشرع .

١١ – الأمر بتقوى الله تعالى ومراقبته .

القيم المستفادة:

١ – توقير النبي ـ ﷺ ـ .

٢ – حبُّ الحجاب الشرعي .

٣ – احترام أمهات المؤمنين .

٤ – تعظيم الشرع .

السؤال الأول:

- ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

- أباح الله تعالى لنبيه ـ ﷺ ـ الزواج بمن منحت نفسها له دون مهر . ( )
- إن الله تعالى لا يستحي من بيان الحق وإظهاره . ( )
- المسلم مخير في دفع المهر للمرأة عند الزواج بها . ( )
- يجب على المرأة المسلمة أن تحتجب عن المحارم . ( )

السؤال الثاني:

- اختر المكمل الصحيح للعبارات التالية بوضع خط تحتها:

١ - قوله تعالى ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ ﴾ أي :

- تضم إليك من تشاء . - تؤخر من تشاء . - تتزوج من تشاء .

٢ - قوله تعالى ﴿ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ تعني :

- غير مستعجلين أكله . - غير سابقين إليه . - غير منتظرين نضجه

٣ - النهي عن دخول بيت النبي ـ ﷺ ـ إلا بإذنه ، فيه :

- ثقل على النبي ـ ﷺ ـ . - إكرام واحترام له ـ ﷺ ـ . - استئناس بالحديث .

السؤال الثالث:

١ – فسّر الآيات الكريمة التالية:

– ﴿ ٱلَّتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ : ..... .

– ﴿ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ ﴾ : ..... .

– ﴿ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ ﴾ : ..... .

٢ – عدّد محارم المرأة التي اشتملت عليه آيات الدرس والآيات من سورة النور.

• ..... .

توجيهات وعظات

سورة الأحزاب الآيات من (٥٦-٦٨)

إن إرشادات الله ـ ﷻ ـ وتوجيهاته لعباده المؤمنين هو الصراط المستقيم والمنهج السديد الذي به نجاتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

وما أمر الله ـ ﷻ ـ به وما نهى عنه خيرٌ كله ومصلحة عظيمة للعباد والبلاد ولله ، در الناظم حيث قال :

الدين جاء لسعادة البشر ولانتفاء الشرِّ عنهم والضرر

فكل أمر نافع قـد شرعه وكل ما يضرنـا قـد منعـــه

فكل أَمْرٍ أَمَر الله ـ ﷻ ـ به هو الخير العظيم ، وكل نهي نهى الله ـ ﷻ ـ عنه هو الشر المستطير .

فالمؤمنون إذا سمعوا أمر الله تعالى فيقولون : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ ﴾[1] ، وأما المنافقون فيقولون : ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾[2] والمؤمنون يتقبلون حكم الله تعالى بانشراح صدر وراحة بال ، وأما المنافقون فيسمعون الأمر بامتعاض وبغض له . وشتان بين الفريقين .

١ - سورة البقرة: (٢٨٥)

٢ - سورة البقرة: (٩٣)

النص

قال تعالى:

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ
يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ
فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ
وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٦٢﴾
يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ
فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا
ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
صلُّوا عليه	أي قولوا : اللهم صل على محمد ، أي :اطلبوا من الله أن يثني على نبيه عند ملائكته .
وسلموا تسليمًا	أي قولوا : وسلِّم على محمد أي ادعوا له بالسلامة من الآفات والعيوب .
لعنهم الله	أبعدهم وطردهم من رحمته .
عذابًا مهيناً	عذابًا يهين صاحبه ويذلّه .
فقد احتملوا بهتاناً	تحملوا كذبًا وإفكاً .
وإثمًا مبيناً	ذنبًا بينًا ظاهرًا .
يدنين عليهن	الإدناء التقريب والمراد الإرخاء والسدل .
من جلابيبهن	جمع جلباب وهو الثوب الذي يستر جميع البدن .
في قلوبهم مرض	مرض الفسق والمعصية .
والمرجفون في المدينة	الإرجاف : الاضطراب الشديد ، والمراد بهم الذي يشيعون الفتنة بنقل الأكاذيب والأباطيل .
لنغرينك بهم	لنسلطنك عليهم بالتعزير أو التأديب أو القتل .
ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً	لا يساكنوك فيها بعد إغرائك بهم إلا وقتاً قليلاً .
أينما ثُقفوا	أينما وجدوا .

وأعدَّ لهم سعيرًا	هيأ لهم نارًا مستعرة .
سادتنا وكبراءنا	أتباعنا ورؤساءنا .
فأضلونا السبيلا	أبعدونا عن الطريق الموصل إلى رضا الله .

الشرح الإجمالي للآيات:

الأمر بالصلاة على النبي ـ ﷺ ـ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾

شرّف الله نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ وفضله بفضل عظيم بما أخبر به من صلاته على هذا النبي وكذلك ملائكته يصلون عليه ، ولهذا أمر المؤمنين الصادقين بأن يصلوا عليه ويسلموا تسليمًا .

ومعنى صلاة الله تعالى على رسوله :ثناؤه عليه عند ملائكته ، وصلاة الملائكة عليه :دعاؤهم له بعلو الشأن والمنزلة ، وصلاتنا له :تحيةٌ وتعظيم له بأن نطلب من الله ـ ﷻ ـ أن يثني عليه عند ملائكته .

وصيغة الصلاة على النبي ثبتت بالسّنة بأنواع من الصيغ أفضلها : «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد» .

وفي فضل الصلاة عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ نذكر حديثًا واحدًا وهو قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ :«من صلى عليَّ واحدة ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بها عشرًا»[1] .

١ – صحيح مسلم – كتاب الصلاة – قولوا اللهم صلى محمد على أزواجه – ٤٠٨-٦١٦ .

وتشرع الصلاة عليه في مواطن عظيمة منها:

١ – في الصلاة .

٢ – بعد الأذان .

٣ – يوم الجمعة .

٤ – في الدعاء .

٥ – عند الدخول إلى المسجد والخروج منه .

لعنة الله تعالى على من آذى الله ورسولَهُ ـ ﷺ ـ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ .

ثم أخبر الله تعالى متهددًا ومتوعدًا من آذاه بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك وإيذاء رسوله ـ ﷺ ـ بعيب أو نقص ، بأنهم ملعونون مبعدون مطرودون من كل خير في الدنيا والآخرة ، وقد هيأ الله ـ ﷻ ـ لهم في الآخرة عذابًا فيه غاية الإهانة والإذلال .

وهذه الآية عامة في كل من حصل منه أذية لله ـ ﷻ ـ أو لرسوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، فإن من آذاه فقد أذى الله تعالى كما أنَّ من أطاعه فقد أطاع الله ـ ﷻ ـ .

قال السعديُّ ـ رحمه الله :«وهذا يشمل كلَّ أذية قولية أو فعلية من سب أو شتم أو تنقص له أو لدينه أو ما يعود إليه بالأذى »أ .هـ .

من أعظم الذنوب أذية المؤمنين بغير حق:

بعد أن بيّن الله تعالى جزاء من آذى الله ورسوله –ﷺ– بيّن هنا من آذى المؤمنين والمؤمنات

بقول أو فعل من غير ذنب عملوه ، فقد ارتكبوا أفحش الكذب والزور وأتوا ذنبًا ظاهر القبح مؤدياً للعذاب في الآخرة .

ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ .

وقيَّد أذية المؤمنين والمؤمنات بغير حق لأن من الإيذاء ما يكون بحق كإقامة حدٍّ أو تعزير .

ومن هنا نعلم حرمة المؤمن وأنه لا يجوز الاستطالة عليه ، روى أبو داود عن أبي هريرة ـ رَضِيَ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : أتدرون ما الغيبة؟ قال : «ذكرك أخاك بما يكره» قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؛ قال : «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَتَّهُ»[1] .

الأمر بالحجاب:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾

قال الله تعالى آمرًا رسوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أن يأمر النساء المؤمنات ويخص منهن زوجاته وبناته لشرفهن بأن يرخين – أو يدنين على رؤوسهن ووجوههن من أرديتهن وملاحفهن لستر وجوههن وصدورهن ، ذلك أقرب أن يميزن بالستر والصيانة ؛ فلا يُتَعَرَّضُ لهن بمكروه أو أذى . وهذا فيه إشارة إلى أن الحجاب حفظ للمرأة من أهل الشر والفساد لأنهم إذا رأوها متبرجةً سافرةً طمعوا فيها وآذوها بالقول أو بالفعل . ثم ختم الله تعالى هذه الآية بقوله : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ لما سلف في أيام الجاهلية قبل فرض الحجاب ، حيث لم يكن عندهن علم بذلك .

وهذه الآية رد صريح على من أنكر شرعية الحجاب أو قال إنما هو خاص بزوجات النبيّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ .

١– صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب – باب تحريم الغيبة – ٢٥٨٩– .

تهديد أكيد ووعيد شديد لأهل الشر:

﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾

ثم قال الله تعالى متوعدًا المنافقين وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ، والذين في قلوبهم مرضُ الشك والفسق ﴿ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ يعني الذين يقولون جاء الأعداء وجاءت الحروب وهو كذب وافتراء ، والذين ينشرون الأخبار الكاذبة والفتن في مدينة رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، لئن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا إلى الحق ﴿ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ ، أي لنسلطنك عليهم ﴿ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ : ثم لأنفينهم عن مدينتك فلا يسكنون معك في المدينة إلا قليلاً من المدة والأجل حتى تنفيهم عنها فنخرجهم منها ، ﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ ﴾ مطرودين من رحمة الله ﴿ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ أي في أي مكان حلَّوا فيه أُسروا وقُتلوا تقتيلاً ما داموا على النفاق والشر والفساد .

وهذا يدل على الأثر السيء لإشاعة الأخبار الكاذبة وما تحدثه من إحباط وتخذيل ، وأن هذا صفة لأهل النفاق لا ينبغي لمؤمن أن يتصف بذلك ، وفي الحديث : «كفى بالمرء إثما أن يحدِّث بكل ما سمع»[1] .

ثم قال الله تعالى مبيناً سنته وطريقته التي لا تُبّدل ولا تغيرّ في المنافقين :

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ أي هذه طريقته فيمن سبقهم من الأمم الباغية ، وهذه طريقته كذلك في المنافقين لا تغير ولا تبدل . والمعنى : أن سنة الله تعالى الكونية لا تغير ولا تبدل في إنزال العقوبات على المفسدين في الأرض .

---

١ – سنن أبن داود – كتاب الأدب – كفى بالمرء إثماً ن يحدث بكل ما سمع – ٤٩٩٢ – .

علم الساعة:

﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾

يقول الله تعالى مخاطبًا نبيَّه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الناس وهم المشركون يسألونك عن يوم القيامة لا خوفًا منها ولا استعدادًا لها ، وإنما يسألون استبعادًا وتكذيبًا ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ ﴾ متى وقوعها؟ ! فأمره الله ـ ﷻ ـ أن يقول لهم : ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ علّامُ الغيوب الذي اختص بعلمها ، ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ وما يدريك يا محمد لعل زمانها قد أزف وهو قريب فكل آتٍ قريب ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾[1] .

جزاء الكافرين:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾

ثم أخبر الله تعالى أنه ﴿ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ أبعدهم وطردهم من رحمته ، ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ هيأ لهم وجهز لهم نارًا مستعرة حال كونهم ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ ﴾ ماكثين مقيمين فيها أبدًا لا يخرجون منها ؛ وليس لهم ولي يواليهم ويدافع عنهم ولا نصير يناصرهم وينقذهم عما هم فيه ولهذا قال : ﴿ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ .

ثم تابع الله تعالى في بيان حالهم في النار مذكِّرًا ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ﴾ . يحرقون فيها وتقلب وجوههم من جهة إلى جهة ، مظهرين فيها الندم يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا رسوله الذي جاءنا بالبيانات والهدى . ولكن لا ينفعهم الندم .

ولكن ينادون ربهم بأنهم أطاعوا أشرافهم ورؤساءهم وساداتهم واتبعوا طريقهم فأبعدوهم عن الطريق القويم وهو الصراط المستقيم ، ثم يدعون ربهم عليهم بأن يضاعف عليهم العذاب

---

١ – سورة الأنبياء : ١ .

وأن يبعدهم عن رحمته ولهذا قال الله عنهم :

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ ولكن الحال أنهم كلهم مشتركون في النار التابعون والمتبوعون .

من هداية الآيات:

١ – تأكيد وجوب الصلاة على النبي ـ ﷺ ، حيث إن الله يصلي عليه وملائكته .

٢ – علو منزلة النبي ـ ﷺ ـ ورفعة درجته عند الله ـ ﷻ ـ .

٣ – الوعيد الشديد والتهديد الأكيد لمن يؤذي الله ـ ﷻ ـ ورسوله ـ ﷺ ـ بأي نوع من الأذى .

٤ – تحريم أذى المؤمنين بغير جرم كان منهم .

٥ – وجوب الحجاب على المؤمنات أمام الرجال الأجانب .

٦ – خطر دعاة التبرج والسفور .

٧ – على ولي أمر المرأة واجب عظيم في أمرها بالحجاب وبكل ما فيه مصلحة لها .

٨ – خطر المنافقين والذين في قلوبهم مرض والذين يشيعون الفتن على المجتمع المسلم .

٩ – علم الساعة لا يعلمه إلا الله تعالى وإنما أخفاها ليجتهد الناس بالاستعداد لها .

١٠ – قربُ يوم القيامة وأنه آتٍ لا محالة .

١١ – توعد الكافرين بالنار وأنها معدة ومهيأة الآن .

١٢ – بيان شيء من عذاب النار على الكافرين .

القيم المستفادة :

١ – بغضُ من آذى الله ـ ﷻ ـ ورسوله ـ ﷺ ـ .

٢ – الحذر من أهل الشر .

٣ – الخوفُ من النار .

التقويم

السؤال الأول:

أ) أكمل العبارات الآتية بكلمات مناسبة:

- الصلاة من الله على النبي معناها ..... ومن الملائكة ..... ومن الناس ..... .
- من أعظم الذنوب أذية المؤمنين إذا كانت ..... .
- يسأل المشركون عن الساعة ..... .

ب) وضّح معاني المفردات الآتية:

(وسلموا تسليمًا ، لعنهم الله ، عذابًا مهينًا ، يدنين ، جلابيبهن ، لنغرينك بهم ، أينما ثقفوا) .

- ..... .
- ..... .
- ..... .

السؤال الثاني:

أ) بم تكون أذية الله تعالى؟

- ..... .
- ..... .

ب) كيف تكون الأذية للنبيّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ؟

- .....
- .....

جـ) وضّح الأثر السيء لتناقل الإشاعات والأكاذيب في المجتمع؟

- .....
- .....

السؤال الثالث:

أ) استخرج الحقائق من الآيات التالية:

- ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ . . . . . ﴾

- .....

- ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾

- .....

- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ . . . . ﴾ .

- .....

ب) ماذا يستفيد المجتمع المسلم لو أن النساء التزمن بالحجاب الشرعي كما أمر الله تعالى؟

- .....
- .....

جـ) بم يكون الاستعداد ليوم القيامة؟

- .....
- .....

د) كيف تتصرف في المواقف التالية:

- زميل لك لا يصلي على النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عندما يذكر .

- .....
- .....

- رأيتَ أحد محارمك لا تتقيد بالحجاب الشرعي .

- .....
- .....

ختام سورة الأحزاب

سورة الأحزاب الآيات من (٦٩-٧٣)

امتدح الله ـ ﷻ ـ المؤمنين الذين كتب لهم الفلاح بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾[1] وبيَّن جزاءهم بأنهم يرثون جنات الفردوس ، وهذا ما امتاز به أهل الإيمان راعوا الأمانة وقاموا بها كما أمر الله ـ ﷻ ـ ، كسروا شهواتهم بالإيمان والعمل الصالح ، ضعّفوا الشبهات بالعلم النافع واليقين الجازم .

ولكن يأتي على الناس زمان ولعل في زمننا هذا قد بَدَت بوادره وهو ضعف الأمانة في الناس ، فنرى كثيرًا منهم لا يعتني بأمر صلاته ، وآخرين لا يؤدون زكاتهم ، وترى منهم من يغش في تجارته يكذب في حديثه يخلُفُ وعده يغش في اختباراته في مدرسته وآخر يهمل في وظيفته ولا يتقن عمله ولا يخلص النصح لإخوانه ولا يرد الحقوق إلى أصحابها ؛ فإذا استشرى هذا الأمر فإنه مؤذِنٌ بخطر عظيم يضعف الدين في نفوس كثير منهم ، وتقطّع أواصر المحبة بين أفراد المسلمين ، ويورث الخلل والفساد في المجتمع . والعلاج من هذه الأدواء هو الانقياد لتوجيهات ربنا وإرشادات نبينا الكريم ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ .

١- سورة المؤمنين : (٨)

النص

قال تعالى:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٣

مفردات الآيات:

الكلمة	معناها
آذوا موسى	باتهامه بما ليس فيه .
فبرأه الله	مما نسبه إليه السفهاء .
وجيهاً	الوجيه العظيم القدر الرفيع المنزلة .
قولاً سديدًا	قولاً صوابًا ، والسَّداد : القصد إلى الحق والقول بالعدل .
الأمانة	المراد بها التكاليف الشرعية التي كلف الله بها المؤمنين من أداء الفرائض واجتناب النواهي .
وأشفقن منها	خِفن من حملها .
ظلومًا	كثير الظلم لنفسه .
جهولاً	جاهلاً بعواقب الأمور .

الشرح الإجمالي للآيات:

النهي عن التشبه باليهود في أذيتهم موسى ـ عليه السلام ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩ ﴾

روى البخاري عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال : قال رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : «إن موسى عليه السلام كان رجلاً حييًّا ستّيراً لا يُرى من جلده شيءٌ استحياءً منه ـ عليه السلام ـ ، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا : ما تستر هذا التستر إلا من عيب في جلده إما برص وإما أُدْرة وإما آفة . وإن الله ـ ﷻ ـ أراد أن يبرئه مما قالوا عنه ـ عليه السلام ـ فخلا يومًا وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها ، وإن الحجر عَدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول : ثوبي حَجَرُ ، ثوبي حجر ، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله ـ ﷻ ـ وأبرأه مما يقولون ، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربًا بعصاه ، فوالله إنَّ بالحجر لَنَدبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا – قال – فذلك قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩ ﴾»[1] .

وعن عبد الله بن مسعود ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال : قسم رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ذات يوم قَسْماً فقال رجل : إن هذه القِسمة ما أريد بها وجه الله قال : فقلت : يا عدو الله أما لأخبرن رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بما قلت ، فذكرت ذلك للنبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فاحمرّ وجهه ثم قال : «رحمة الله على موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر»[2] .

والمعنى : يا أيها المؤمنون لا تؤذوا رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بقول أو فعل بل عليكم توقيره واحترامه وتعظيمه ، ولا تكونوا كأمثال اليهود لما آذوا موسى بقولهم إنه أبرص أو به آفة

---

١ – رواه البخاري ومسلم – صحيح البخاري – كتاب أحاديث الأنبياء «قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً» . ٣٢٢٣

٢ – صحيح البخاري – كتاب الاستئذان – إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى . . . ٥٩٣٣ . .

فبرَّأه الله تعالى مما قالوا وهو نبي الله ورسوله ذو وجاهةٍ عند الله ـ ﷻ ـ ومنزلة عظيمة ، وهذا قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ .

التقوى والطاعة والصدق عنوان السعادة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾

ثم قال الله تعالى آمرًا عباده المؤمنين بما فيه سعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ خافوا الله ـ ﷻ ـ واجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بفعل الطاعة وترك المعصية ، ﴿ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾ صوابًا مستقيمًا خاليًا من الكذب والباطل وقول الزور ، وقد جاء في الحديث «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإنَّ البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا»[1] .

ثم بيّن الله ـ ﷻ ـ جزاء من اتقى الله وصدق في أقواله وأعماله بقوله :

﴿ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ تكون التقوى والقول السديد سببًا في صلاح الأعمال الذي ينشأ عنه قبولها عند الله تعالى ، ﴿ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ ﴾ الذنوب التي سبب الهلاك والعطب ، تزول بإذن الله ـ ﷻ ـ بالتقوى والقول الحسن .

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ فيما أمر ونهى ﴿ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ بالكرامة العظمى في الدنيا والآخرة .

وهذه الآية الكريمة من الآيات التي كان يستفتح بها النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ خطبه ، لما احتوته من الأمر والجزاء فهي من الآيات الجامعة للمعاني العظيمة .

---

١ – صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب –«ان الصدق بر وان البر يهدي الى الجنة . . .» ٤٧٢١ .

عظم شأن الأمانة:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾

يعظِّم الله تعالى شأن الأمانة التي ائتَمن عليها المكلفين ، وهي التكاليف الشرعية التي كلف الله بها المؤمنين من أداء الفرائض واجتناب النواهي ورد الحقوق إلى أصحابها ، ولفظ الأمانة عام شامل لجميع الأوامر والنواهي من الصلاة وسائر العبادات حتى الاغتسال من الجنابة وحلق العانة ونتف الإبط ونحو ذلك . عظّم الله تعالى شأنها إذ عرضها على المخلوقات العظيمة السماوات والأرض والجبال عرض تخيير لا إلزام ﴿ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ رفضن حمل هذه الأمانة خوفًا وخشية من التفريط فيها وعدم الوفاء بهذا الواجب العظيم ، تعظيمًا لدين الله تعالى ولكن الإنسان بظلمه وجهله حملها مع ثقلها ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

والإنسان جمع بين وصفين ذميمين بكونه ظلومًا لانغماسه في الشهوات التي تصدُّه عن الخير والطاعة ، وبكونه جهولاً لتتبعه الشبهات التي تصده عن دينه وتشككه فيه ، وعلاج الشهوة بالصبر على الطاعة وعلاج الشبهة باليقين الذي يذهب الشك والريب وطريق ذلك العلم النافع .

ثم ذكر الله -ﷻ- الحكمة في تحمل الإنسان الأمانة ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ وقدَّم المنافقين في الذكر لعظم خطرهم ،

﴿ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ ﴾ يتقبل توبتهم ويتجاوز عن ذنوبهم ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ بقبوله عباده المؤمنين .

من هداية الآيات:

١ – النهي عن أذية النبي الكريم ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بأي نوع من أنواع الأذى في حياته وبعد مماته .

٢ – النهي عن التشبه باليهود في أذيتهم لموسى ـ عليه السلام ـ .

٣ – بيان ما لموسى ـ عليه السلام ـ من المكانة العظيمة والمنزلة العالية عند الله ـ ﷻ ـ .

٤ – بغي اليهود واستطالتهم على خير عباد الله في زمانهم مما يدل أن ذلك سجية لهم .

٥ – وجوب التقوى والقول السديد وما لذلك من آثار عظيمة من صلاح العمل ومغفرة الذنوب .

٦ – الفوز العظيم في الدنيا والآخرة يكون بطاعة الله ـ ﷻ ـ ورسوله ـ ﷺ ـ .

٧ – عظم شأن الأمانة إذ عرضها الله تعالى على المخلوقات العظيمة السماوات والأرض والجبال .

٨ – حمل الإنسان لهذه الأمانة العظيمة لظلمه وجهله .

٩ – بيان الحكمة من الأمانة فيثبت الله ـ ﷻ ـ الطائع ويعاقب العاصي .

القيم المستفادة:

١ – بغض اليهود .

٢ – توقير أنبياء الله تعالى .

٣ – حب العمل الصالح .

التقويم

السؤال الأول:

أ) بم كانت أذية بني إسرائيل لموسى ـ عليه السلام ـ؟ .

- .....

ب) كيف برّأه الله تعالى؟

- .....

جـ) بماذا نال موسى ـ عليه السلام ـ الوجاهة العظيمة عند الله تعالى؟

- .....

السؤال الثاني:

أ) **أجب عن الأسئلة الآتية على ضوء قول الله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ.... ﴾.

– ما معنى التقوى؟

- .....

– ما المراد بالقول السديد؟

- .....

– وضّح جزاء من اتقى الله تعالى وقال القول السديد؟

- .....

ب) وضّح معاني المفردات الآتية:

(وجيهًا ، قولاً سديدًا ، وأشفقن منها ، ظلومًا ، جهولاً) .

- .....
- .....

السؤال الثالث:

أ) كيف تتصرف في المواقف الآتية؟

- زميل لك يغش في الاختبار .

- .....

- علمتَ من زميل لك أنه لا يصلي في المسجد؟

- .....

ب) ما القيم السلوكية من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩ ﴾.

- .....
- .....
- .....
- .....
- .....

المراجـع

م	اسم الكتاب	المؤلف
١	جامع البيان في تفسير القرآن	القرطبي
٢	تفسير القرآن العظيم	ابن كثير
٣	صفوة التفاسير	الصابوني
٤	فتح القدير	الشوكاني
٥	التفسير القيم	ابن القيم
٦	في ظلال القرآن	سيد قطب

alalfain العالفين
2479 7777

أودع بمكتبة الوزارة تحت رقم (٣٢٣) بتاريخ ١٤/ ١١/ ٢٠١١م